أدب الوفادة في العصر الأموي

إعداد

عادل علي عيوش الزبن

المشرف

الاستاذ الدكتور حمدي محمود منصور

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا

الجامعة الأردنية

تشرين أول، 2010

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا الطالب عادل علي عيوش الزبن أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٠

الجامعة الأردنيـــة
كلية الدراسات العليا

نموذج رقم (١٨)
اقرار والتزام بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها لطلبة الماجستير والدكتوراة

أنا الطالب: عادل علي عيوش الزبن الرقم الجامعي: ٨٠٦١٨١٣
التخصص: لغة عربية الكلية: الآداب

عنوان الرسالة / الاطروحة
الأدب الوفادة العربية في العصر الأموي

أعلن بأنني قد التزمت بقوانين الجامعة الأردنية وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول المتعلقة باعداد رسائل الماجستير والدكتوراة عندما قمت شخصيا" باعداد رسالتي / اطروحتي ، وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية. كما أنني أعلن بأن رسالتي /اطروحتي هذه غير منقولة أو مستلة من رسائل أو أطاريح أو كتب أو أبحاث أو أي منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة اعلامية، وتأسيسا" على ما تقدم فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك بما فيه حق مجلس العمداء في الجامعة الأردنية بالغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيع الطالب: عادل التاريخ: ٦ / ١٠ / ٢٠١٠

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (أدب الوفادة العربية في العصر الأموي) وإجيزت بتاريخ 5 / 8 / 2010 م .

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

الدكتور / حمدي منصور (مشرفا ورئيساً) ....

استاذ الأدب الجاهلي والأندلسي / الجامعة الأردنية

الأستاذ الدكتور / صلاح جرار (عضواً) ....

استاذ الأدب الأندلسي والمغربي / الجامعة الأردنية

الدكتور / عبد الكريم الحياري (عضواً) ....

استاذ البلاغة / الجامعة الأردنية

الدكتور / محمد الخلايلة (عضواً) ....

استاذ الأدب القديم / الجامعة الهاشمية

الاهداء

إلى كل الرجال الذين يرون في أنفسهم القدرة على التقدم بمجتمعاتهم والارتقاء بها ..

إلى روح جدي الطاهرة التي ما برحت تحفزني إلى التقدم والعلو..

إلى كل أصدقائي الذين وقفوا معي في مرحلة إنجاز هذا المشروع..

إلى والدي وإخواني وأخواتي وزوجتي وأبنائي حلا وهاشم وحمزة ..

إليكم جميعا أهدي هذا العمل ...

الباحث

الشكر والتقدير

- شكري وتقديري إلى مشرفي الفاضل د . حمدي منصور على رعايته وتوجيهه لي رعاه الله وحفظه ومتعه بالصحة وموفور العافية ..

- كما أشكر لجنة المناقشة الموقرة ..

- ثم أشكر كلية الدراسات العليا على ما تبديه من اهتمام بطلابها ..

- وخالص شكري إلى الجامعة الأردنية التي احتضنتنا في هذه المرحلة الدراسية ، ولم تبخل علينا بما احتجنا إليه إداريا وأكاديميا طوال مدة دراستنا ..

الباحث

فهرس المحتويات

أدب الوفادة في العصر الأموي

إعداد

عادل علي عيوش الزبن

المشرف

الاستاذ الدكتور حمدي منصور

الملخص

بحثت عن موضوع لم يشبع بالدرس والتحليل ولم تتناوله الرسـائل الجامعيـة بشـكل مباشر، فاهتديت إلى موضوع رسالتي هذه بعنوان أدب الوفادة العربية في العصر الأموي، ذلك أني لم أجد دراسة تتناول أدب الوفادة بشكل خاص في هذا العصر الذي أثير حوله الكثيـر مـن الجدل السياسي لما تتطلبه طبيعة تلك الحقبة من تاريخنا العربي، ومـا رافقهـا مـن ظـروف وتغيرات سياسية واجتماعية ثقافية واقتصادية، أدت إلى تطور العرب في مناحي الحياة لا سيما وأن دولة العرب آنذاك قد اتسعت بشكل كبير .

وقد حاولت في هذه الدراسة أن ألقي الضوء على بعض الوفادات الهامـة وبمـا يفيـد البحث الأدبي ، لأتبين أغراض الوفادة ، وكيف أثرت السياسة في التعامل مع الوفود ، وما هـو دور البلاط الأموي وخلفاء بني أمية في إثارة النعرات القبلية ، باستغلال الوافدين إلى بلاطهـم لتحقيق سياستهم في تفريق الناس ليتسنى لهم ضبط أمور الحكم وإدارة شؤون الخلافة .

وحاولت أن أتبين أسرار الخطاب الأدبي في مواقف الوفادة ، دور الوفادة فـي إنتـاج العقليات القيادية الفذة عند العرب ، وكيف أن مفهوم الوفادة قد تغير بتغير حال العرب في ظـل

دولة ، حكامها في قصور مشيدة ويمنعهم من الدخول على ولاتهم حاجب القصـر ، فلـم تعـد الوفادة كما كانت في سابق عهدها .

وقد اتبعت في هذا البحث منهج التحليل والمقارنة ، بعد عرض عـدد مـن الوفـادات كنماذج من أخبار الوافدين ، بما تقتضيه طبيعة البحث من منهجية تقليب الأمور على وجوههـا المختلفة والمحتملة ، ومحاكمتها حتى تتجلى الحقيقة ، موثقا لكل ما أعرض له .

وقد ابتعدت عن ذكر الهجاء المقذع احتراما لذوق القراء واحتراما لأولئك الرجال الذين رأوه سلاحا لا بد منه في تقوية شوكتهم لما قدموه من خدمة للإسلام في ذلك الوقت.

المقدمة

تأتي هذه الرسالة في ظل بحثي عن موضوع أستكمل به متطلبات الحصول علـى درجة الماجستير ، وقد أعملت النظر في عدد من الموضوعات فاقترب هذا الموضوع من نفسي ، فأردت أن أبحث في الوفادة بشكل يشمل أكثر من عصر، إلا أن طبيعة البحث في هذه المرحلة تقتضي أن أتناول الموضوع بشكل أقل اتساعا مما كنت أرمي إليـه وأنحـو نحوه .

فكتبت في هذا الموضوع – أدب الوفادة في العصر الأمـوي – بحيـث قسـمت الموضوع إلى تمهيد وخمسة فصول وخاتمة ، وسأتناول في التمهيد بيئة الجزيرة العربية ودورها في صياغة نمط تفكير العربي ، ومدى تأثير ذلك على الوفادة ، خاصة وأن نقلة أصابت العرب بتحول خلافتهم من الحجاز إلى دمشق ، وما رافق ذلـك مـن ظـروف وصاحبه من متغيرات في سائر المجالات .

وسأتناول في الفصل الأول من هذا البحث ؛ موضوع الوفادة السياسية بعد تبيـان معنى الوفادة ومدى اقترانها بالأدب ، ثم سأتحدث عن قيام دولة بني أمية وما طـرأ مـن تطور على الأدب في ظل قيام هذه الدولة ، وما ورافقه من نشوء الأحزاب السياسية التي سأعرض لها في هذا الفصل ، ثم ألج الموضوع الأساسي وهو الوفادة السياسية عارضـا لبعض النصوص الأدبية نثرا وشعرا بما يخدم البحث .

ثم أتناول الوفادة الاجتماعية في الفصل الثاني ببحث مكونات المجتمـع الأمـوي ومظاهر الحياة فيه ثم عوامل ذيوع الشعر الاجتماعي وبعض الوفادات الاجتماعية في هذا العصر.

وفي الفصل الثالث من البحث سأتناول الوفادة الاقتصـادية عارضـا للتغيـرات الاقتصادية التي أصابت العرب زمن الدولة الأموية، وما انهالت عليهم به الدنيا من الغنائم والأموال نتيجة الفتوحات وتأثير ذلك على الوفادة، وشكوى الكثيرين من الشـعراء مـن سياسة بني أمية بالتنكر لهم ونسيان مواقفهم، والشكوى من العمال وظلم السعاة، وما يتعلق بهذه الوفادة من موضوعات.

أما الفصل الرابع فتم تخصيصه للوفادة الثقافية وسأعرض فيه لأهم مراكز الثقافة في العصر الأموي ثم لدور الموالي في خدمة الثقافة وكذلك لاتصال الثقافـات الأجنبيـة بالثقافة العربية، واهتمام خلفاء بني أمية بالثقافة ورعايتهم لها، عارضا لصور مـن هـذه العناية وهذا الاهتمام من خلال الوفادات الثقافية في بلاطهم.

وفي الفصل الخامس من هذه الرسالة سأدرس الوفادة وأدبها دراسة فنية دون إطالة أو إسهاب وسأتناولها من ثلاثة جوانب:

- اللغة: من خلال دراسة دلالات أدب الوفادة شعرا ونثرا ، لا سيما وأن تلـك المعـاني يضمرها الوافد في نفسه ليسكبها لغة تفيض بالبيان لتنجح وفادته في مسعاها.

- الصورة : سأدرس الصورة في أدب الوفادة العربية في العصر الأموي ، خاصـة وأن الأديب الوافد يحمل صورته التي يريد في ثنايا خطابه الأدبي ، ليلقي تلك الصورة علـى هيئة كلمات أمام من يفد عليه لتصيب الوفادة المغزى الذي أراده منها.

- الإيقاع: سأدرس البنية الإيقاعية لأدب الوفادة لما يضفيه الإيقاع على تلك القطع الأدبية من رونق وجمال.

ثم سأعرض في خاتمة هذه الدراسة أبرز النتائج التي سأصل لها، موثقا لكل ما اسـتعنت به من المصادر والمراجع حسب أسلوب التوثيق المعتمد.

الدراسات السابقة :

١- الوفود وأثرها الإعلامي لعلي رضوان الأسطل .

اختصت هذه الدراسة في بابها الأول بعرض الدور الإعلامي للوفود في وتحليله ، ففـي الفصل الأول تحددث الكاتب عن وفود مكة الداخلية أما الفصل الثاني فتحدث فيـه عـن الآثار الإعلامية للوفود الداخلية . وفي الباب الثاني تحدث الكاتب عن مصـادر الإعـلام الإسلامي وقواعده وأساليبه ووسائله .

٢- محمد رسول الله والذين آمنوا معه لعبد الحميد السحار .

تحدث فيها الكاتب عن التربية الدينية التي كانت الوفود تتلقاها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، دون أي عرض للنصوص الأدبية أو تحليلها بأسلوب قصصي غايته التربية .

٣- دولة يثرب بصائر في عام الوفود وأخباره لخليل عبد الكريم .

وتحدث فيها الكاتب عن معنى الوفادة ، ثم تناول الوفود التي بايعت الرسـول صـلى الله عليه وسلم ، ولكنه لم يعرض للأشعار التي ألقاها شعراء الوفود في حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم تعرض لدور الأدب في الوفادة .

٤- وفود المهتدين إلى خاتم النبيين لإبراهيم حسن خلاف وتحدث فيها عن بعض الوفـود العربية مستشهدا ببعض النصوص الشعرية دون دراسة أو تحليل لها .

سائلا المولى عز وجل أن يجعل هذا العمل في ميزان أعمالي.

الإستنتاجات

ثم إنني خلصت إلى عدد من النتائج أوجزها على النحو الآتي :

أولا: استغلت الوفادة أيما استغلال من الناحية السياسية وذلك لإثارة النعرات القبلية بين الوافدين على بلاط بني أمية ، ثم نقلها إلى قبائلهم .

ثانيا: كانت الوفادة سبيلا لأن يعرف بنو أمية رجال الوفد وقدرتهم القيادية فيكلفونهم بمهام منها ولاية الأمصار .

ثالثا: تباين خلفاء بني أمية في التعامل مع الوفود فمنهم من كان يغدق عليهم الأموال ومنهم مـن لا يفعل ، ومنهم من يتسامح معهم ويدخلهم دون استئذان ومنهم من لا يفعل ومنهم مـن يعاتـب الوافد على معارضته السابقة لبني أمية بل ويعنفه على ذلك .

رابعا : أثرت الوفادة الأدب العربي في هذا العصر ثراء واسعا فبات لدينا كم هائل من القصـائد التي ألقيت كمدائح على خلفاء بني أمية أو نقائض ومفاخرة بين شعراء هذا العصر .

خامسا : لم يكن الوافد الذي ينطلق من رؤية حول قومه وأحوالهم يرضى بأن يستأثر بالعطيـة والمنفعة دون قومه، بل يوزعها عليهم إن حصل على شيء.

سادسا : كان للنساء نصيب من الوفادة لا يقل قوة وحضورا عن كثير من وفادات الرجال فكـن يظهرن مواقفهن السياسية ولا ينكرنها أمام الخليفة.

سابعا : لم يكن الخلفاء يرحبون بأن يفخر الوافد بنفسه أو قومه أمامهم.

سائلا المولى عز وجل أن يعينني على ما أصبو إليه ، مقرا بأن الصواب إن أصبته فمن الله وأن الخطأ إن عثرت به فمن نفسي ، والله من وراء القصد .

تمهيد

معنى الوفادة

قال تعالى : { يوم نَحشُر المتقين إلى الرحمن وفْدا }[١]. قيل الوفد الركبان المكرمون . الأصمعي: وفَد فلان يفِد وِفادةً إذا خرج إلى ملك أو أمير .ابن سيدة : وفَد عليه وإليه يفِد وفْداً ووفوداً ووفادةً وإفادةً ، على البدل : قَدِم ، فهو وافد ؛ قال سيبويه وسمعناهم ينشدون بيت ابن مقبل :

إلا الإفادةُ فاستَولتْ ركائبنَا عِنْدَ الجَبابيرِ بالبأساءِ والنعمِ

وأوفده عليه وهم الوفد والوفود ؛ فأما الوفد فاسم للجمع ، وقيل جمع . وأما الوفود فجمع وافِدٍ ، وقد أوفده إليه .

ويقال : وفده الأمير للأمير الذي فوقه . وأوفد فلان إيفادا إذا أشرف . الجوهري وفَد فلان على الأمير أي ورد رسولا ، فهو وافد . وجمع الوفد أوفاد ووفود . وأوفدته أنا إلى الأمير: أرسلته .

والوافد من الإبل : ما سبق سائرها . وقد تكرر الوفد في الحديث ، وهم القوم يجتمعون فيردون البلاد وواحدهم وافد ، والذين يقصدون الأمراء لزيارةٍ . واسترفاد وانتجاع وغير ذلك . وفي الحديث : وفد الله ثلاثة . وفي حديث الشهيد : فإذا قتل فهو وافد لسبعين يشهد لهم . وقوله: أجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم .

وتوفدت الإبل والطير : تسابقت . وأوفَد الشئ : رفَعه . وأوفَد هو : ارتفع وأوفَد الريم :

---

(١) **سورة مريم** /٨٥ .

رفع رأسه ونصب أذنيه . قال تميم بن مقبل[1]:

تــراءت لنــا يــوم الســيار بفَــاحِمٍ وســنةَ ريــمٍ خَــافَ ســمعاً فَأوفَــدا

وركب موفِد مرتفع .وفلان مستوفِد في قِعدته أي منتصب غير مطمئن كمستوفزٍ . وأمسينا على أوفاد أي على سفر . والإيفاد على الشيء : الإشراف عليه . والإيفاد أيضا الإسراع ، وهو في شعر ابن أحمر . والوفد ذروة الجبل من الرمل المشرف . والوافدان الاذان في شعر الأعشى : هما الناشزان من الخدين عند المضغ ، فإذا هرم الإنسان غاب وافداه .

ويقال للفرس : ما أحسن ما أوفد حاركه أي أشرف ، وأنشد[2]:

تَــرى العِــلا فِــي علَيهــا موفِــدا كــأن برجــاً علَيهــا مشَــيدا

أي مشرفا . والأوفاد قوم من العرب ، وقال :

فلــو كُنــتُم مِنــا أَخَــذنتُم بِأَخْــذِنَا ولكنمــا الأوفَــاد أســفَلَ ســافِلِ

ووافد : اسم . وبنو وفدان حي من العرب ، أنشد ابن الأعرابي :

إن بنــي وفْــدان قَــوم ســك مِثْــلُ النَعــامِ والنَعــام صــك

(١)ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم (٦٣٠- ٧١١ هـ) ، **لسان العرب المحيط** ، دار لسان العرب ١٩٧٠. ج / ٩ دار الحديث القاهرة ، مادة وفد .

(٢) الأزهري ، ابن منظور محمد بن أحمد الهروي ، **معجم تهذيب اللغة ،** تحقيق رياض زكي دار المعرفة (٢٠٠١) بيروت ، مادة : ك - ي .

ازدهار الأدب في العصر الأموي

ازدهر الأدب في عصر بني أمية شعره ونثره ازدهـارا ملحوظـا . فتعـددت فنونـه وأغراضه ، وكان لذلك النهوض أسباب كثيرةٌ ، منها أن دولة بني أمية دولة عربيـة الصـبغة وملوكها عرب ، ومواطن اللغة والثقافة والأدب كثيرة في هذا العصر ، وعناية الخلفاء والأمراء والولاة والشعب بالأدب وتشجيعهم للأدباء موصولة ، وكان لإحيـاء الأدب الجـاهلي وروايتـه وتدوينه أثر في هذه النهضة ، وقد أثر القرآن الكريم والحديث النبوي وبلاغـات البلغـاء مـن الجاهلية حتى هذا العصر في الألسنة والأذواق وفي الأساليب والألفاظ .وتعددت مجـالس الأدب ومنتدياته وأسواقه في هذا العصر ، ومن أشهرها : سوق المربـد بالبصـرة وسـوق الكناسـة بالكوفة.

كان لكل حزب سياسي أو طائفة مذهبية من الخوارج والشيعة والزبيريـة والمروانيـة والمضرية والقحطانية والشعوبية شعراء وخطباء ينظمون الشعر ويخطبون في تأييد نحلتهم .

ثم عني الأمويون به ، وعملوا على ازدهاره ، وبالغوا في رعايته ، ذلك لأنهـم عـرب يهزهم الشعر وتسحرهم بلاغته ويولونه عناية كبيرة ، ولأنه سـجل تـاريخ العـرب وأيـامهم ومفاخرهم وآثارهم ، ولأنه صار لسان الحياة ، بما فيها من أحزاب متصـارعة . وعصـبيات متضاربة ، ورغبات قوية في إحياء ماضي العرب الأدبي ، وتجديد تاريخهم القومي والعقلي ..

اشتدت عناية الأمويين – خلفاء وأمراء وولاة وزعماء ورؤساء ، بالشعر وعظم تقديرهم لهم وخصوهم بجزيل العطاء ، وعظيم الصلات ، وعقدوا المجالس لإنشاده وسماعه ، وجلسـوا في الندوات المفتوحة لسماع المحاورات بين الأدباء والشعراء حوله .

"ويرى المتتبع للأشعار التي نظمها هؤلاء الشعراء في العصر الأموي دفاعا عن حق بني أمية في الخلافة أنهم أقاموا دفاعهم على أساسين : الأول أنهم أصحاب شرف خالـد ، وعز تالد ، وسلطان قديم ، وأنهم أهل الهمم العالية ، والعقول الراجحة ، وأولو البأس الشديد في الحرب ، والكرم الفياض في الجدب . والثاني أنهم مسلمون صالحون اختارهم الله لرعاية الأمة ، وجمع شملها ، وتصريف شؤونها ، فهم خلفاؤه في أرضه ، وأولياؤه على عباده ، يسوسـون رعيتهم بعدل وإنصاف ، ويجاهدون في سبيل الإسلام بقوة وعنف ، فيلقـون مـن الله التسـديد والتأييد . فهم ينطلقون في تزكيتهم للأمويين، وانتصارهم من فهمهم لمعنى السيادة بأبعاد القبيلـة الموروثة ، وأبعاد الإسلام الحديثة[1].

ولا بد أن نسجل أن كثيرا من أخبار الشعراء الموالين للدولة الأموية ضاعت أشعارهم ، والسبب في ذلك أن كثيرا من الرواة المتعصبين للعلويين والعباسيين أخفوا مثل هـذه الأشـعار إسقاطا مقصودا ، ابتغوا به التعفية على آثار الأمويين ، وطمس كل شعر فيه تخليد لهم ، أو ثناء عليهم كالأصفهاني لتشيعه . وفي المقابل اندفع الرواة المتعصبون ينقـرون عـن قصـائدهم ومقطوعاتهم التي أعلنوا فيها تخليهم عن الأمويين وتنكرهم لهم ، والتي اتهموهم فيها بالاسـتبداد والطغيان ، والخروج على قواعد الدين ، فإذا هم لا يحذفون منها بيتا واحدا ظفروا به ، نكايـة بالأمويين وتأليبا عليهم ، ودعاية للعباسيين ، وترغيبا فيهم . كما أن أولئـك الـذين أمضـوا الشطر الأكبر من حياتهم في العصر الأموي وعرفوا بولائهم للأمويين ، ومحامـاتهم عـنهم ،

---

(١)الخفاجي ، محمد (١٩٦٦) **الحياة الأدبية** ، القاهرة : مكتبة القاهرة ، صـ٧٩.

تكتموا على أشعارهم السياسية الأموية أشد التكتم ، وحرصوا على إخفائهـا أكبـر الحـرص ، خوفا من بطش العباسيين بهم ونذكر منهم : ابن المولى[(١)]، وأبو دهمان الغلابي[(٣)] وغيرهم .

ولقد جعل معاوية بن أبي سفيان الشعر ينمو ويزدهر، ذلك أنه ترك خصـماءه أحـراراً يقولون ما يريدون وينفسون عن أنفسهم . ولهذا كان يسمع هجاءه بأذنه فيعفو ويصـفح . ومـن ذلك أن دخل عليه مرة أبو بردة بن أبي موسى الأشعري ، فقال له : يا أمير المؤمنين إن عقيبة بن هبيرة قال فيك :

مَعـاوِيَ إِنَنَـا بشَـر فَأَسجِـح   فَلَسـنَا بِالجِبـال ولا الحديـدِ
أَكَلْـتُم أَرضَـنَا وجردتُموهـا   فَهـل مِـن قَـائِمٍ أَو مِـن حصِيـدِ
فَهبنَـا أُمـةً هلَكَـتْ ضياعـاً   يزيـد أَميـرها وأَبـو يزيـدِ
أَتَطْمـع بِـالخُلُودِ إِذَا هلَكْنَـا   وليس لَنَا ولا لَكَ مِن خُلُـودِ   وتَـأمِير
ذَروا خَـولَ الخِلافَـةِ واستَقِيمـوا   الأَراذِل والعبِيـدِ
وأَعطُونَـا السـوِيةَ لا تَزرِكُـم   جنُـود مردفَـاتٌ بِـالجنُودِ

فما يمنعك يا أمير المؤمنين أن تضرب عنقه ؟ قال : أفلا خير من ذلك ؟ قال وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال نجتمع أنا وأنت ونرفع أيدينا إلى السماء وندعو عليه [(٢)].

وهذا إن دل فيدل على أن معاوية لا يأخذ الناس بتحريض من الآخرين أو لعله يعلم أنه يوجد بينهما عداوة شخصية .

---

(١)الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (٥٧٤- ٦٢٦ هـ)، **معجم الأدباء** ، دار المأمون القاهرة(١٩٨٣)، صـ٣٤٢ .

(٣) الأصفهاني ، **الأغاني** ج١٩،ص١٥١ .

(٢)الحوفي ، أحمد (١٩٦٥) **أدب السياسة** ، بيروت : دار التعليم ، صـ ٢٨٢ .

وكذلك عفا عبد الملك بن مروان عن عبد الله بن قيس الرقيات شاعر الزبيريين ، وشريك مصعب في محاربة عبد الملك ، وعفا عن الكميت شاعر الشيعة بعـد أن أهـدر دمه. وعفا يزيد بن عبد الملك عن الأحوص ، ورده من منفاه ، ومنحه حللا سنية وأدناه . وقال له : لو لم تَمت إلينا بحق ولا صهر ولا رحم إلا قولك :

وإنـي لأسـتَحييكُم إذْ يقُـودني ... إلـى غَيـرِكُم مِـن سـائِرِ النـاسِ مطْمـع

لكفاك ذلك عندنا .

وصفح الحجاج عن العديل بن الفرخ وتناسى هجاءه له ، واستهانته بوعيده . وعفا عبيد الله بن زياد عن ابن مفَرغ ، وصفح عن هجائه الكثير المقذع الذي رماه به[1].

"وقد اتخذ الشعر الأموي اتجاهات جديدة لم تكن معروفة عند العـرب فـي الجاهليـة ، فظهر شعر الغزل ، ومن أشهر شعراء هذا اللون عمر بن أبي ربيعة في الحجاز ، الذي يمثـل الغزل الصريح ، وجميل عذرة الذي يمثل الغزل العذري ، وظهر الشـعر السياسـي ، نتيجـة للسياسة الحزبية للدولة الأموية ، واتخاذهم الشعر وسيلة للدعاية ، وهو النوع المعروف بالشـعر الحزبي ، فوجد شعراء أبلوا بلاء حسنا - كما سنرى لاحقا - ومنهم عبيد الله بن قيس الرقيات ، والكميت بن زيد الأسدي من شعراء الشيعة[2]، كما وجد شعراء يمثلون السياسة الأموية ، نـذكر منهم الفرزدق شاعر عبد الملك ابن مروان ، والوليد ، وسليمان ويزيد ، وجرير شاعر الحجاج، والأخطل شاعر معاوية وخلفائه" . كذلك وجد شعراء يمثلون الصراع بين العصـبيتين القيسـية

---

(١) الأصفهاني ، **الأغاني** ، ج٧، ص ٦٠.

(٢)الشكعة ،مصطفى(١٩٦٨) **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية** ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، صـ ٨٥ .

واليمنية ، وسجل هؤلاء المفاخرات العصبية ، ومن شعراء النزارية والقيسية الكميت ، ومن شعراء القحطانية دعبل الخزاعي .

قيام دولة بني أمية

حين تولى معاوية بن أبي سفيان عام ٤١ هـ ٦٦١ م مقاليد الحكم، وشؤون الخلافة الإسلامية ، نقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق في الشام ، وظلت هي العاصمة الكبرى حتى سقوط الدولة الأموية عام ١٣٢ هـ ٧٥٠م.

ودمشق هي جلق القديمة التي أشار إليها حسان بن ثابت في شعره :

لِلهِ در عِصابةٍ نَادمتُهم يوماً بِجِلقَ فِي الزمان الأول

وكانت دمشق لقربها من جزيرة العرب ومصر والعراق مدينة تجارية تصل بين الشرق والغرب ، وظلت عامرة على اختلاف العصور نحو أربعة آلاف سنة ، وقد استولى على دمشق في القديم الآشوريون والبابليون والفرس والفراعنة والأرمن .

ثم غدت بعد أن اقتحمها الإسكندر المقدوني درة الإمبراطورية الرومانية بعد انهيار اليونان السياسي ، وقبل الميلاد بقرن هاجر إليها النبطيون من جزيرة العرب ، وتتابعت هجرات السلالات العربية إليها ، وأخذت تنتشر اللغة العربية وظلت صبغتها العربية تتكامل طيلة سبعة قرون كاملة حتى بزوغ نور الاسلام ، ففتحتها جيوش المسلمين الظافرة عام ١٤ هـ ـ ٦٣٦ م وكان للعرب قبل الفتح صلات تجارية بها ، فأبو سفيان ابن حرب شيخ بني أمية وأحد زعماء قريش كان كثيرا ما يفد عليها ، وله حديث طويل مع هرقل عن الرسول ونشأة الإسلام .

وتولى إمارة دمشق وضواحيها سفيان فلما مات عام ٢١ هـ ٦٤٣ م ولي عليها أخوه معاوية بن أبي سفيان من قبل عمر بن الخطاب وكان من قبل يلي ولاية الأردن لعمر ، وظل

معاوية أميرا على دمشق عشرين عاما قبل أن يصبح خليفة وقبل أن تنتقل خلافة المسلمين إلى بني أمية ، فلما أصبح معاوية خليفة للمسلمين كانت دمشق كذلك عاصمة لخلافته وظل خليفة فيها عشرين عاما أخرى .

تولى مقاليد الخلافة في دمشق طيلة العصر الأموي ثلاثة عشر خليفة ، كان لهم السيادة على العالم الإسلامي كله ، وكانت جيوشهم تسير من نصر إلى نصر ويجئ إليها الخراج من كل مكان وهم[1].

١. معاوية بن أبي سفيان (٤١ - ٦٠ هـ : ٦٦١ – ٦٨٠ م) .
٢. يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤ هـ : ٦٨٠ – ٦٨٣ م) .
٣. معاوية بن يزيد (٦٤ – ٦٤ هـ : ٦٨٣ – ٦٨٤ م).
٤. مروان بن الحكم (٦٤ – ٦٥ هـ : ٦٨٤ – ٦٨٥ م).
٥. عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ : ٦٨٥ – ٧٠٥ م) .
٦. الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ : ٧٠٥ – ٧١٥ م).
٧. سليمان بن عبد الملك (٩٦- ٩٩ هـ : ٧١٥ – ٧١٧ م).
٨. عمر بن عبد العزيزبن مروان (٩٩ – ١٠١ هـ : ٧١٧ – ٧١٩ م).
٩. يزيد بن عبد الملك (١٠١ – ١٠٥ هـ : ٧٢٠ – ٧٢٤ م).
١٠. هشام بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ : ٧١٤ – ٧٤٣ م).
١١. الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥- ١٢٦ هـ : ٧٤٤ – ٧٤٤م).
١٢. يزيد بن الوليد بن عبد الملك (١٢٦ – ١٢٦ هـ : ٧٤٤ – ٧٤٤ م).
١٣. مروان بن محمد بن مروان بن الحكم (١٢٦ – ١٣٢هـ : ٧٤٤ – ٧٥٠ م).

---

(١)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، صـ٨٩.

هؤلاء خلفاء بني أمية طيلة واحد وتسعين عاما هي مدة حكـم الأمـويين فـي العـالم الإسلامي .

وقد بنى الخلفاء في دمشق المساجد والدواوين والقصور والمتنزهات والقلاع والحصون، فاتسع عمرانها ، وزادت حضارتها ، وصارت موطنا رفيعا من مواطن الثقافة والأدب في العالم الإسلامي ، ووفد إليها الناس في مختلف أمورهم ومصالحهم ، وهكذا عني الأمويـون بدمشـق حتى غدت من أعظم مدن العالم وأجملها . ونعم سكانها بالعدل والأمن والثراء والسؤدد، وأبـان العرب – كما يقول جستاف لوبون – عن تسامح مع كل مدن الشام فرضي أهلهـا بسـلطانهم ، وطرحوا النصرانية ، ودخلوا في الإسلام أفواجا ، وتعلموا العربية .

وكان خلفاء بني أمية يبسطون نفوذهم على الأندلس ومراكش والجزائر وتونس التـي أقام فيها عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٥٠ هـ - ٦٧٠ م . وصارت منذ إنشائها موطنا من مواطن الثقافة الإسلامية ، كما كانت رايتهم تخفق على طرابلس وبرقة ومصر وجزيرة العرب ، والشام وبلاد العراق وفارس وخراسان وداغستان وأفغانستان . والسند التي فتحها محمـد بـن القاسم للأمويين عام ٩٣ هـ ٧١٣ م . وأغار الأمويون على القسطنطينية والأناضـول وجـزر المتوسط : صقلية وسردانية ومالطة ، وفتحوا قبرص وكريت ورودس وهاجموا سواحل ايطاليا، وغزا الحر بن عبد الرحمن فرنسا عام ٩٩ هـ واستولى السمح بن مالك بعد ذلك بثلاث سنوات على مدن كثيرة منها ، وقام عبد الرحمن الغافقي عام ١١٤ هـ ٧٣٢ م بهجـوم كبيـر عليهـا ووصل بجيشه الكبير إلى بواتييه قرب باريس ، فقابلهم شارل مارتل بجيش كبيـر تمكـن مـن هزيمة الغافقي وجيشه الباسل ، في معركة بلاط الشهداء التي وقعت في يوم الجمعة ٧ شـعبان ١١٤ هـ - ٢ أكتوبر ٧٣٢ م ، وقتل الغافقي وانسحب المسلمون . وفي هذه الهزيمـة يقـول أديب فرنسي مشهور هو مسيو كلودفارير : ((في سنة ٧٣٢ م حدثت فاجعة كانـت مـن أشـأم

الأحداث التي نكبت بها الإنسانية في القرون الوسطى، وكان من آثارها أن غمرت العالم الغربي طبقة عميقة من التوحش لم تبدأ بالتبدد إلا على عهد النهضة ، هذه الفاجعة التي أريد أن أمقـت ذكراها ، وأعني بها الانتصار البغيض الذي ظفر به أولئك البرابرة المحـاربون مـن الإفـرنج بقيادة شارل مارتل على كتائب العرب المسلمين الذين كان يقودهم الغافقي ، ففـي ذلـك اليـوم المشئوم تراجعت المدنية ثمانية قرون إلى الوراء ، ويكفي المرء أن يطوف بفكره في الأنـدلس ومدنها وحدائقها وحضارتها الخالدة ليعرف ماذا عسى أن تكون قد بلغته فرنسا منذ ذلك العهـد السحيق لو أنقذها الإسلام العمراني الفلسفي المتسامح السلمي))[١] .

وغزا قتيبة بن مسلم عام ٨٧ هـ ٧٠٦ م بلاد ما وراء النهر ، ففتحت بخارى وسمرقند والصغد وغيرها ، وتعمق في بلاد الهند حتى وصل إلى كاشغر وهي أدنـى مـدن الصـين ، وأرسل رسالة إلى امبراطور الصين يدعوه فيها إلى الإسلام ، ودخلت بلاد مـا وراء القوقـاز كذلك في حكم الأمويين ودانت كلها بالطاعة في عهد سليمان بن عبد الملك ، ودخلت بلاد النوبة في حكم المسلمين ، وكذلك سواحل شرق افريقيا .

هذا هو المجد الإسلامي الأكبر الذي شاده الأمويون وتركوه تراثا خالـدا مـن تـراث المسلمين الروحي والفكري ، ولا يمكن أن ننسى عواصم الثقافـة والأدب الكبـرى فـي دولـة الأمويين ، من أمثال : دمشق والفسطاط ومكة والمدينة ، والقيروان والبصرة والكوفة ، وسواها من المدن الإسلامية الكبرى .

---

(١)الخفاجي ، محمد (١٩٦٦) **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، القاهرة : مكتبة القاهرة ، صـ ٩١.

عناية الدولة الأموية بالأدب

حرص الأمويون على استغلال الأدب عموما والشعر خصوصا فاجتذبوا الشعراء إلى قصورهم ، ليتخذوا منهم ألسنة منافحة عن حكمهم داعية إلى تقبلـه وتأييـده ، فصـار الشـعر السياسي أعلى ضروب الشعر صوتا في عهدهم ، وتبوأ مكانة في عصرهم لم يتبوأها من بعد .

والسبب في هذا أن الحكم يدور على محور واحد هو الاحتفاظ بالملك لبني أمية، مخافـة أن يؤول إلى سواهم ، فلم يجد الخلفاء بدا من إعداد الجيوش ، والاسـتناد إلـى العصـبيات ، والإغداق على المنافسين والطامحين ، ولم يجدوا مندوحة عن اصـطناع الشـعراء ، ليتقـووا بشعرهم كما يتقوون بالسلاح ولم يكن إلا الخطابة والشعر سبيلا لنشر ما يدعون إليه ليتغلغل في أعماق النفوس .

عناية الدولة الأموية بالأدب

اشتدت في هذا العصر مظاهر عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب وتجلت في مظاهر شتى :

١- إحياء الأدب الجاهلي ، إحياء للعصبية وبعثا لها أو بدافع منها ، وإثراء للغـتهم الأدبيـة ، وبذل الأموال لعلماء اللغة والأدب في سبيل ذلك .

٢- عقد المجالس الأدبية العامة التي تمس الأدب والشعر والنقد ، ويكون حظ كـل ذلـك مـن رعايتهم موفورا .

٣- بذل الكثير من العناية في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشـكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية .

٤- رعاية الكتابة واتخاذ أعلامها كتابا في ديوان رسائل الخلفاء .

٥- تسامحهم مع الشعراء وإطلاق الحرية لهم .

٦- تشجيع الشعراء ورعايتهم ، جلبا لمدحهم ، ونشرا لمناقبهم ، وتوطيـدا لملكهـم ، وإحيـاء لمفاخرهم ومآثر آبائهم .وإغداق العطاء عليهم دون حساب ، واتخاذ الخلفاء شعراء مقربين لديهم .

وكان للشعراء النصيب الأوفى من عناية هؤلاء الخلفاء ، لأنهم كانوا أشد الناس إذكـاء للعصبية وتأليفا لقلوب العرب وجمعا لهم على نصرة بني أمية ، فكانت لهم أعطيات فـي بيـت المال كل حسب طبقته ومنزلته وأثره في مدح الدولة والذود عنها[١].

وكان خلفاء بني أمية يذكون العصبية القبلية العربية بكل ما لديهم من قوة ومال ، وكان من أكبر وسائل الإذكاء إحياء ما خلفه العرب من شعر وحكمة وخطب ، وكـان أكثـر هـؤلاء الخلفاء من أقطاب العلم والأدب ، فكانوا يستقبلون في كل آونة رؤسـاء العشـائر وخطباءهـا وشعراءها ومن إلى هؤلاء ممن يؤيدون بهم الملك ، ويؤازرون بهم الجماعة ، ويشـدون بهـم الأعضاد ، وكانوا يستمعون لما يلقيه هؤلاء وما ينقلونه عن أسلافهم من مأثور القول ، ويثيبون عليه ثوابا كريما .

وكان الدهاة من بني أمية يبتغون إشغال الشعراء بالتهاجي والتفاخر ، ويشـغلون قبائـل هؤلاء الشعراء ، ويشغلون كثيرا من الناس بهذا الصراع الأدبي ، وهم يحتالون بذلك لصـرف هؤلاء عن المشاركة في السياسة وعدم التفرغ للثورات .

وقد استغلت الوفادة لهذا الغرض أيما استغلال فلم يكن عبد الملك يكره أن تقع الخصومة بين الشعراء في مجلسه ، ومن ذلك أن دخل عليه جرير والأخطل عنده ، وكانا قد تهاجيا ولـم يلتقيا ، فقال جرير للأخطل : من أنت ؟ فقال : أنا الذي منعك نومك ، وهضم قومك . فقال لـه

---

(١) الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، صـ ١٤ .

جرير : ذاك أشقى لك . ثم أقبل جرير على عبد الملك فقال : من هـذا يـا أميـر المـؤمنين ؟ فضحك وقال : هذا الأخطل يا أبا حزرة . فقال جرير : ائذن لـي يـا أميـر المـؤمنين بـابن النصرانية . فقال : لا يكون ذلك في مجلسي . فوثب جرير مغضبا، فقال عبد الملك : قـم يـا أخطل ، واتبع صاحبك ، فإنما قام غضبا علينا فيك . فنهض الأخطل . فقال عبد الملك لخادم له: انظر ماذا يصنعان إذا برز الأخطل[١].

وذكر أبو الفرج أن الحجاج سأل جريرا عن السبب في ولعه بهجاء الناس فاعتذر جرير بأنه يدافع عن نفسه ، لأن الشعراء يهجونه ، وجاء في إجابته أن بشر بن مروان حرض سراقة البارقي على هجائه ، وأنه بعث إلى جرير يحرضه على الرد عليه[٢].

كما كان الأمراء والرؤساء والقادة والولاة يغالون في هبات الشعراء والخطباء إلـى أبعـد حـد عرف من كرم العطاء . ومن هؤلاء الوليد بن عقبة ، و عبدالله بن العباس ، وعرابة الأوسـي ، وطلحة الخزاعي ، والحجاج الثقفي ، وخالد القسري ، والمهلب بن أبي صفرة ، وسواهم .

ولا بدع في ذلك ، فهم عرب يهزهم البيان ، ومنهم من يتذوق الشعر ويفهمه وينقده كعبد الملك بن مروان ، فوق البواعث السياسية والاجتماعية والدينية التي تدعوهم إلى العناية بالأدب والشعر واللغة .

قال عبد الملك بن مروان لبنيه : عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مـالا وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا . وقال شبيب بن شيبة : اطلبوا الأدب فإنه مادة العقل ودليـل عن المروءة ، وقال معاوية : اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر آدابكم[٣].

---

(١) الأصفهاني ، **الأغاني** ج٧، ص ١٧٦ .

(٢)المصدر نفسه ج٧ ،ص ٤٢.

(٣) ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (٦٠٨-٦٨١هـ)،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، مطبعة بولاق ١٨٨١ القاهرة ، ج٢ ، ص ٤١ .

وما تلك الحوارات التي دارت في مجلس عبد الملك بن مروان إلا خيـر شـاهد علـى عنايته بالأدب وهذا ما حمل أرباب الكلام على العناية بالقول والاحتفال بتجويده قبل إهدائه ، كما حملت رواة الأدب على أن يلموا بالكثير الذي يحسنون عرضه ، حتى تولد بذلك ضرب رشيق من الحوار الأدبي تم نضجه واستوى على يد عبد الملك الذي هدأت به عواصف الفتن واستقرت بأعماله أمور الدولة ، وسنتحدث عن بعض ما دار في مجلس عبد الملك في معرض حديثنا عن الوفادة الثقافية .

"ومن صور عنايتهم بالشعراء وتقديرهم لهم ما كان من أمر الوليد بن عقبة مع لبيد ابـن ربيعة وكان لبيد جوادا شريفا في الجاهلية والإسلام ، وكان إلى في الجاهلية أن يطعم ما هبـت الصبا . ثم أدام ذلك في إسلامه ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم علـى مسـجد قومه فيطعمهم ، ونزل لبيد الكوفة ، وأميرها الوليد بن عقبة ، فبينا هو يخطب النـاس إذ هبـت الصبا ، فقال الوليد في خطبته على المنبر: (قد علمتم حال أخيكم أبي عقيل ، وما جعل علـى نفسه : أن يطعم ما هبت الصبا ، وهذا يوم من أيامه ، وقد هبت ريحها ، فأعينوه ، وأنا أول من فعل . ثم انصرف الوليد ، فبعث إليه بمائة من الجزر وبهذه الأبيات :

أَرى الجـزار يشْـحذُ شَفْرتَيـهِ ... إِذَا هبـتْ ريـاح أَبِـي عقِيـل
أَشَـم الأَنْـفِ أَصـيد عامِـري ... طَويـلُ البـاعِ كالسـيفِ الصـقِيل
وفِـي ابـن الجعفَـري بِمـا نَـواه ... علَـى العِلاتِ والمـال القَلِيـل
بِنَحـر الكَـومِ إِذْ سـحِبتْ إِلَيـهِ ... ذُيـولُ صـباً تَجـاذَب بِالأَصِيـل

فلما وصلت الهدية إلى لبيد شكره ، وقال : إنني تركت الشعر منذ قرأت القرآن ، ثم قال لابنته : أجيبيه ، فلعمري لقد عشت دهرا وما أعيا بجواب)[١].

وكان أسيد بن عنقاء الفزاري من أكثر أهل زمانه عارضة ولسانا ، وطال عمـره ونكبه دهره ، واختلت حاله . فخرج عشية يتبقل لأهله فمر به عميلة الفزاري فسلم عليـه وقال : يا عم ما أصارك إلى ما أرى ؟ قال : بخل مثلك بماله وصون وجهي عن أمـوال الناس . فقال : لئن بقيت إلى غد لأغيرن ما أرى من حالك ، فرجع إلى أهله . فلما كـان السحر سمع رغاء الإبل وثغاء الشاه وصهيل الخيل ولجب الأموال . فقال : مـا هـذا ؟ فقالوا : هذا عميلة ساق إليك ماله . فخرج ابن عنقاء له ، فقسم عميلـة مالـه شـطرين وساهمه عليه . فأنشأ ابن عنقاء يقول : [٢].

رآنِي علَـى مـا بِـي عمِيلَـةُ فَاشْـتَكَى ... إِلَـى مالِـهِ حـالِي أَسـر كمـا جهـــر
دعانِي فَآسانِي ولَـو ضـن لَـم يلَـم ... علَـى حِـين لا بـدو يرجـى ولا حضـر
فَقُلْتُ لَه خَيـرا وأَثْنَيـتُ فِعلَـــه ... وأوفَـاك مـا أَبلَيـتَ مـن ذَم أَو شَكَـر
ولَمـا رأَى المجـد اسـتُعِيرتْ ثِيابـه ... تَـردى رداء سـابِغَ الذيـل واتـزر
غُـلام رمـاه اللهُ بـالخَير مقْبِـلا ... لَـه سـيمياء لا تَشُـق علَـى البصـر
إِذَا قِيلَـتِ العـوراء أَغْضـى كَأَنـه ... ذَلِيـلٌ بِـلا ذُلٍ ولَـو شَـاء لانْتَصـر[٣].

---

(١)الأبشيهي ، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٢ هـ)، **المستطرف في كل فن مسـتظرف**، المطبعة البهية ١٩٨٢ القاهرة ، ج ٢ ،ص ٥٠ .

(٢)الأصفهاني ، الأغاني ، ج١٤،ص٩٣ .

(٣)الأبشيهي ، **المستطرف في كل فن مستظرف**، ج٢ ص٥٠ .

طابع سياسة الأمويين

إن ما يتصل بالأدب شعرا وخطابة هو ما يهمنا من السمات العامة لسياسة الأمويين لكي نستبين جو النصوص وملابساتها ومراميها ، ولنتبين مقدار نجاحها أو إخفاقها في خدمة السياسة المنوطة بها .

فقد حرص الأمويون على استغلال الأدب وخصوصا الشعر فاجتذبوا الشعراء إلى قصورهم ليتخذوا منهم ألسنة منافحة عن حكمهم واصطنعوهم ليتقووا بشعرهم على أعدائهم والخارجين عليهم .

- ١ -

كان معاوية مؤسس الدولة أسبق الخلفاء لانتهاج هذه السياسة ، بل لقد انتهجها قبل أن تؤول أليه الخلافة ، إذ اصطفى كعب بن جعيل التغلبي ، وسماه شاعر الشام ، واستعان بشعره في صراعه مع علي ، فاضطر علي أن يلقاه بشاعر من شيعته هو النجاشي شاعر العراق .

ثم أراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فأوعز إلى مسكين الدارمي أن يروج لها ، وأن يرد على معارضيها ، فقال قصيدته التي رد فيها على عبد الله بن عامر ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص ، وهم بعض معارضي البيعة أو المتلكئين فيها ، منها قوله :

أَلا لَيتَ شِعري ما يَقُولُ ابنُ عامِرٍ ... ومروان أَم ماذَا يَقُولُ سعِيدُ
بَنِي خُلَفَاءِ اللهِ مهلا فَإنما ... يبوئها الرحمن حيثُ يريدُ
إِذَا المِنْبرُ الغَربِي خَلاه ربه ... فَإن أَمِيرَ المؤْمِنِينَ يزِيدُ
علَى الطائِرِ الميمون والجدُ صاعِدٌ ... لِكُلِّ أُنَاسٍ طَائِرٌ وجدودُ
فَلا زِلْتَ أَعلَى الناسِ كعباً ولا تَزلْ ... وفُودٌ تساميها إِلَيكَ وفُودُ
ولا زالَ بيتُ المُلكِ فَوقَك عالِياً ... تُشَيدُ أطْنَابٌ لَه وعمودُ

قُدور ابن حربٍ كـالجوابي وتَحتَهـا أثـافٍ كأمثـال الرئـال ركـود

فلما انتهى قال معاوية : ننظر فيما قلت يا مسكين ونستخير الله فلم يتكلم أحد إلا موافقا .

وفي عهده طلب ابنه يزيد من شاعر الشام أو شاعر بني أمية – كعب بن جعيل – أن يهجو الأنصار ، لأنهم شيعة علي وبنيه – وكان الهجاء حينئذ مشتعلا بين شاعر العلويين عبد الرحمن بن حسان وشاعر آخر من شعراء الأمويين هو عبد الرحمن بن عبد الحكم – فأبى كعب وقال :

أرادي أنت إلى الشرك بعد الإيمان ؟ ودل يزيد على غلام نصراني ، هو الأخطل. فأرسل إليه يزيد ، وأغراه بالأنصار ، فهجاهم فغضب الأنصار وذهب النعمان بن بشير إلى معاوية[1]، ثم حسر العمامة عن رأسه وقال يا معاوية هل ترى لؤما ؟ قال ما أرى إلا كرما . قال : فما بال عبد الأراقم يقول فينا ؟

ذَهبَتْ قُريشٌ بالمكارمِ كُلها واللؤم تَحتَ عمائِمِ الأنْصار

فتظاهر معاوية بالغضب على الأخطل ، لكنه لم يعاقبه ، ولم يمكن النعمان منه .

والناس هم الناس يعشَون إلى بريق الذهب ، ويسعون إلى الثراء ، ويلوذون بصاحب الجاه والسلطان ، ويخشون بأس الحكام .

لهذا تزاحموا على قصور بني أمية ، وعلى قصور ولاتهم ، فكان لهم في كل مصر شعراء .

وانتهج ولاة بني أمية و قوادهم نهجهم ، فشجعوا الشعراء على الإشادة بهم ، فرحل الشعراء إليهم ومدحوهم ، ونالوا عطاياهم .

---

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، ص ٢٣٣ .

وخير مثال نسوقه للدلالة على مكانة الشعراء عند الخلفاء هو الأخطل ، فقد اصطفاه يزيد بن معاوية طوال خلافته ، فكانا يسافران معا وكان يزيد يستدعيه للمنادمة وسماع الغناء ، بل إن بعض الروايات تقول إنه رافق يزيد في حجه رغم نصرانيته التي هو عليها [١].

وقد قربه عبد الملك بن مروان حتى لقد كان يدخل عليه بلا استئذان ، وعليه جبة خز وفي عنقه سلسلة من ذهب يتدلى منها صليب من ذهب [٢].

وكان عبد الملك عظيم الاعجاب به ، والمكافأة له . أنشده قصيدته التي مطلعها :

خَفَ القَطين فَراحوا مِنْكَ أَو بكَروا وَأَزعجتْهم نَوى فِي صرفِها غِير

فقال عبد الملك لغلامه خذ بيده يا غلام ، وألق عليه من الخِلع ما يغمره ، وأحسن جائزته . ثم قال: إن لكل قوم شاعراً ، وإن شاعر بني أمية الأخطل .

ويذكر الأصمعي أن عبد الملك كان يتطاول حين ينشده قصيدته الرائية ، وأنه قال له : ويحك يا أخطل أتريد أن أكتب إلى الآفاق أنك أشعر العرب ؟

قال الأخطل : أكتفي بقول أمير المؤمنين . ثم أمر له بجفنة كانت بين يديه ، فملئت دراهم وألقى عليه خلعا ، وخرج معه مولى لعبد الملك يقول للناس : هذا شاعر أمير المؤمنين ، هذا أشعر العرب .

وقد مدح بني أمية ، ومدح كبار رجالاتهم ، كالحجاج ويزيد بن المهلب وبشر بن مروان، وهم جميعا كانوا يقربونه [٣].

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ج٧،ص١٧٠ .
(٢) **المصدر السابق** ، ج ٧، ص١٧٧ .
(٣)الأصفهاني ، **الأغاني** ، ج٧،ص١٦٧ .

وكثر في عصر بني أمية الشعراء المداحون الهجاءون بقصد التكسب لا الدفاع عن رأي أو اعتقاد وإذا كانت الدولة على هذا السنن تجري فترجو وتخاف الشعراء وترتب لهم الأمـوال فإن الناس وهم على دين ملوكهم كانوا فيهم أرغب ولهم أوهب وهذا ما كان ، فولـع العظمـاء بسماع المديح وأجزلوا عليه العطايا والهبات وتسابقوا في ذلك تسابق الجياد في الميـدان ، ثـم خافوا الهجو وحادوا عن التعرض له بما دفعوا ثمنا لأعراضهم ووقاية لأحسابهم ، وكمـا كـان الممدوح يطمع في أن يوصف بما ليس فيه من صفات عن طريق الشعر الذي يثبتها لـه كـذلك المهجو ؛ كان يتقي أن يوصم بما ليس فيه فيلصق به بتأثير الشعر لصوقا ليس منه فكاك . على أن هذا النهم في المديح والفرق من الهجاء ملأ من الخلفاء القلوب وامتلك عليهم الأسماع فلم يعد يكفيهم أن يسمعوا للدولة تثبيتا ولا عنها دفاعا لا يكون لأشخاصهم فيه أكبر نصيب وقادهم فـي ذلك الولاة والأمراء حتى لقد كان الواحد منهم يأبى على الشاعر أن يفخر بنفسه ويؤاخذه علـى ذلك بما في مجهوده .

يدل على هذا أن حسان بن مالك – سيد قحطان بالشام – قال لسكان الأردن لما تـوفي يزيد بن معاوية ، ودعا عبدالله بن الزبير لنفسه : يا أهل الأردن ما شهادتكم على ابن الزبيـر ، وعلى قتلى أهل الحرة [1]؟ قالوا نشهد أن ابن الزبير منافق وأن قتلى أهل الحرة في النار .

قال فما شهادتكم على يزيد بن معاوية ، وقتلاكم في الحرة ؟ قالوا : نشهد أن يزيد على الحق ، وأن قتلانا في الجنة . قال : وأنا أشهد لئن كان يزيد بن معاوية وهو حي قائمـا علـى

---

(١) موقعة قرب المدينة بين الزبيريين والامويين .

الحق أنه اليوم وشيعته على الحق ، وإن كان الزبير يومئذ وشيعته على الباطل إنه اليـوم علـى باطل . فبايعوه حينئذ على قتال ابن الزبير وأعوانه [١].

وقد جهر زياد بن أبيه في خطبته بالبصرة بأن معاوية وحكومته يلـون أمـور النـاس بسلطان الله ، ويحمونهم من الأعداء بجند ينفقون عليهم مـن مـال الله ، فعلـيهم أن يسـمعوا ويطيعوا، ولهم أن ينعموا بعدل الحكام : "أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسـة ، وعـنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خولنـا ، فلنـا علـيكم السـمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل والإنصاف فيمـا ولِينـا ، فاسـتوجبوا عـدلنا وفَيْأنـا بمناصحتكم لنا، وادعوا الله بالصلاح لأئمتكم ، فإنهم ساستكم المؤدبـون وكهفكـم الـذي إليـه تأوون"[٢].

وسنجد في النصوص الأدبية شعرا ونثرا ترديدا لهذه الفكرة من الشعراء والخطباء.

- ٢ -

ولقد اتسم حكمهم بالعصبية ،عصبية للعرب عامة ضد العجم والموالي ، وعصبية لليمنية على القيسية ، وعصبية للقبائل الموالية لهم على المناوئة ، كعصبيتهم لكلب وتغلب على قيس .

وكان يزيد بن معاوية أشدهم تعصبا على بني هاشم ، جريا على ما كان بين البيتين من منافسة وعداء في الجاهلية والإسلام .

---

(١)الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية ٢٠٠١ بيـروت ، ج ٧ ، ص٣٥ .

(٢)الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) ، **البيان والتبيين**، تحقيق درويش جويدي، بيروت لبنان: المكتبة العصرية (٢٠٠٣) ، ٦٤/٢ .

فهو لم ينس أن جده لأمه وخاليه قتلوا يوم بدر ، ولم ينس أن المهاجرين والأنصار قـد فتحوا مكة مع النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن جده أبا سفيان أسلم في ذلك اليوم محرجا بعـد أن قاوم الإسلام والمسلمين طويلا .

ثم إن ثورة أهل المدينة عليه ، وخلعهم إياه ، وثورة أهل مكة بعدها بعام ، لـم تبـرح خاطره .

وليس أدل على حنقه عليهم من قوله إذ بلغته ثورتهم :

لَقَد بـدلُوا الحِلْـم الـذي مِـن سـجِيتي ... فَبـدلْتُ قَـومِي غِلْظَـةً بِلَيـان[1].

فلما انتصر جيشه عليهم تمثل بقول عبد الله بن الزبعرى شاعر قريش في موقعة أحد :

لَيتَ أَشْياخِي بِبدرٍ شَهِدوا ... جزع الخَزرجِ مِن وقْعِ الأسلْ

وزاد عليه قوله :

لأهلوا واستَهلوا فَرحاً ... ثُم قَالُوا يا يزيد لا تُشَلْ

وعاد إلى الاستشهاد بقول الزبعري :

فَجزيناهم بِبدرٍ مِثْلها ... وأَقَمنَا ميلَ بدرٍ فَاعتَدلْ

- ٣ -

جرى بنو أمية على تعيين من يخلفونهم ، يريدون بذلك إيثار أبنائهم أو المقربين إليهم ، ويريدون أن يقوا الأمة مصارع الفرقة والاختلاف فيمن يتولى بعد موت الخليفة .

---

(١) الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٧، ص ٥ .

ولكن ولاية العهد هذه جرت من الشرور بقدر ما كان متوقعا منها الخيـر ، ذلـك لأن كثيرين من الأمراء كانوا يتنافسون على ولاية العهد ، و على الاستئثار بهـا ، وكـانوا أحيانـا يتعددون فيكيد بعضهم لبعض .

وقد ناصر بعض الشعراء ولاة العهود كمسكين الدارمي وجرير ، كما ناصرهم بعـض الساسة كالحجاج وقتيبة بن مسلم .

ولم يشذ عن نظام توريث الخلافة إلا معاوية بن يزيد ، فقد أرادها شورية ديمقراطيـة، كما كانت في عهد الخلفاء الراشدين ، وود لو أنه وجد جماعة كالذين عهد إليهم عمر، ليفـوض إليهم اختيار خليفته من بعده .

ولما حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أمية، وطالبوه بأن يعهد إلى من يختاره مـن أهـل بيته، فقال: ((والله ما ذقت حلاوة خلافتكم ، فكيف أتقلد وزرهـا ، وتتحلـون أنـتم حلاوتهـا، وأتعجل مرارتها ؟ اللهم إني بريء منها، متخل عنها. اللهم إني لا أجد نفرا كأهـل الشـورى، فاجعلها إليهم ينصبون من يرونه أهلا لها)) [1].

وكان من ولاة بني أمية زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي وقتيبة بن مسلم الباهلي وسعيد بن العاص وآل المهلب . وكان لبعضهم سياسة خاصة وشخصية ، وقـد التـف حـولهم الشعراء ومدحوهم كما مدح جرير والفرزدق الحجاج ، وكما مدح جميل وكُثيـر وابـن قـيس الرقيات وغيرهم والي مصر عبد العزيز بن مروان ومدح جرير والفرزدق وكثير وأعشى بنـي شيبان بشر بن مروان في العراق وكذلك مدح حبيب بن عوف والطفيـل بـن عـامر وكعـب الاشقري المهلب بن أبي صفرة .

---

(١) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) **مروج الذهب ومعـادن الجـوهر** ، دار الأنـدلس ١٩٦٥ بيروت،ج٢، ص ٩٧ .

وفادة أم سنان بنت خيثمة على معاوية بن أبي سفيان :

كان بنو أمية يسألون الوافد رجلا كان أم امـرأة عـن ماضـيه وتاريخـه السياسـي ، خصوصا إن كان من خصومهم أو من الأحزاب المعارضة لسياستهم والمناهضة لهـم ، وهـذه السياسة - سياسة التعنيف إن جاز أن نسميها – كانوا يقصدون من ورائها تأديب كل من تسـول له نفسه الخروج عليهم أو معارضتهم بأنهم لن ينسوا ما يحدث منه . ومن ذلك أن حبس مروان وهو والي المدينة غلاما من بني ليث في جناية جناها فأتته جدة الغلام وهي أم سنان بنت خيثمة المذحجية فكلمته في الغلام فأغلظ مروان لها ، فخرجت إلى معاوية وافدة فدخلت عليه فانتسـبت فعرفها . فقال لها [٢]: مرحبا بابنة خيثمة ، ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تشتميننا وتحضين علينا عدونا ؟ قالت : إن لبني عبد مناف أخلاقا طاهرة ، وأحلاما وافرة ، لا يجهلون بعد علـم ، ولا يسفهون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ؛ وإن أولى الناس باتباع ما سن آباؤه لأنـت . قـال : صدقت نحن كذلك .

فكيف قولك :

عزب الرقاد فَمقْلَتِـي لا تَرقُـــــــد	والليلُ يصـدر بِالهمــــومِ ويـــــورد
يا آلَ مذحِجٍ لا مقَـــام فَشَمــروا	إِن العــــــدو لِـآل أَحمــد يقْصِـــد
هذَا علِـــي كالهــــلال تَحفُــــه	وسطَ السماءِ من الكَواكِب أَسعــــــــد
خَير الخَلائِق وابن عـم محمــــــدٍ	إِن يهدِكُم بِالنُور مِنْـه تَهتَـــــــدوا
ما زالَ مذْ شَهد الحـروب مظَفــــراً	والنصر فَـوقَ لِوائِـهِ مـا يفْقَـــــــد

---

(٢) ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، **العقد الفريد**، تحقيق محمد العريان، دار الفكـر ، ج١، ص٢٩٦ .

قالت : كان ذلك يا أمير المؤمنين وأرجو أن تكون لنا خلفا ، فقال : رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهي القائلة :

إما هلكْتَ أبا الحسـين فلَـم تـَـزلْ ـ بالحق تُعـرفُ هاديـا مهـديا

فاذْهب عليك صـلاةُ ربـك مـا دعـتْ ـ فوقَ الغُصـون حمامـةٌ قُمريـا

قد كُنْتَ بعـد محمـدٍ خَلَفـاً كمـا ـ أوصـى إليـك بِنَـا فَكُنْـتَ وفِيـا

فـاليوم لا خَلَـفٌ يؤَمـلُ بعـده ـ هيهـاتَ نأمـلُ بعـده إنْسِيـا

قالت : يا أمير المؤمنين لسان نطق وقول صدق . ولئن تحقق ما ظننا فحظك الأوفـر ، والله ما ورثك الشنآن [1] في قلوب المسلمين إلا هؤلاء فأدحض[2] مقالتهم وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قربا ومن المؤمنين حبا . قال : وإنك لتقولين ذلك ، قالت : سـبحان الله ! والله ما مثلك مدح بباطل ولا اعتُذر إليه بكذب ، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا . كان والله علي أحب إلينا منك ، وأنت أحب إلينا من غيرك. قال : ممن ؟ قالت : من مروان بن الحكم وسعيد بن العاصي . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حلمك وكريم عفوك . قال : فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين إن مروان تبنك [3] بالمدينة تبنك من لا يريد منهـا البراح ، لا يحكم بعدل ولا يقضي بسنة ، يتتبع عثرات المسلمين ، ويكشف عورات المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيته فقال : كنت وكنت ، فأسمعته أخشن من الحجر وألقمته أمر من الصـاب [4] ثم رجعت إلى نفسي باللآئمة وقلت : لم لم أصرف ذلك إلى من هو أولى بالعفو منه. فأتيتـك

(١) العداوة .

(٢) أبطل .

(٣) أقام .

(٤) شجر مر.

يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظرا وعليه معديا [١]. قال : صدقت لا أسـألك عـن ذنبـه والقيام بحجته . اكتبوا لها بإطلاقه ، قالت : يا أمير المؤمنين وأنى لي بالرجعة ؟ وقد نفذ زادي وكلت راحلتي ؟ فأمر لها براحلة ومنحة .

---

(١) ناصرا .

الفصل الأول

أدب الوفادة السياسية

قمنا بتوضيح معنى الوفادة ولا بد هنا من توضيح معنى السياسة أولا ثم توضيح مفهـوم ارتباط الأدب بالسياسة ثانيا.

١ – جاء في لسان العرب السوس الرياسة ، يقال ساسهم إذا رأسهم ، ويقال سوسوه وأساسوه إذا رأسوه ، وساس الأمر سياسة قام به ، والجمع ساسة وسواس.

سـ ـ ـادةٌ قَـ ـ ـادةٌ لِكُـ ـ ـل جمِيـ ـ ـعٍ ساسـ ـــةٌ لِلرجـ ـــال يـ ـــوم القِتَـ ـــال

ويقال سوس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم ، ويروى قول الحطيئة:

لَقَـ ـد سوسـ ـــتِ أَمـ ـــر بنيـ ـــكِ حتـ ـــى تَـ ـ ـــركتهم أَدقَ مِـ ـ ـــن الطَحِـ ـ ـــين

وفي الحديث: كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم، أي تتولى أمورهم ، كما يفعل الـولاة والأمراء بالرعية، والسياسة القيام على الشئ بما يصلحه[١].

وفي أساس البلاغة: الوالي يسوس الرعية، ويسوس أمرهم، ويسوس أمورهم، وسـوس فلان أمر قومه. وذكر بيت الحطيئة[٢].

وجاء في القاموس المحيط: سست الرعية سياسة أمرتها ونهيتها . وفلان مجـرب قـد ساس، أي أدب ، ومجرب قد سيس عليه أي أُدب، وسوس فلان أمور الناس سير ملكا.[٣]

٢ – وكانت في عرف المسلمين الأولين منوطة بالإمامة ، أي الخلافة ، فعرفها الماوردي بقوله: ((الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا))[٤].

---

(١) ابن منظور، **لسان العرب المحيط** ، مادة سوس .

(٢)الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر(٤٧٦- ٥٣٨ هـ)، **أساس البلاغة** ، المطبعـة الذهبيـة ١٨٨٢ القاهرة ، مادة سوس .

(٣) الفيروز ابادي ، **القاموس المحيط** ، مادة سوس .

(٤) الماوردي ، **الأحكام السلطانية**، صـ٣ .

ومعنى هذا أن السياسة رعاية لشؤون المسلمين المتصلة بدينهم ودنياهم ثم عرفها ابن خلدون بأنها ((حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي ، في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ، إذ إن أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به))(١).

٣ – أما في الاصطلاح الغربي فالسياسة هي فن الحكم، والرجل السياسي هو الذي يمارس أعمال الإدارة المدنية ، وهو أيضا الحاكم الرسمي الموجه الناصح.

ومن هنا يتبين أن التعريف الإسلامي والتعريف الغربي يتفقان في أن السياسة هي فن الحكم ، ويختلفان في أن الإسلام يبني طريقة الحكم على دعائم من الشرع ، إذ كان الإسلام دينا ودولة ، أما الغربيون فيقصرون الحكم على شئون الدنيا ، بغض النظر عن الدين ؛ إذ إن الدين ليس أساسا عندهم في الحكم ، وإنما له رجاله المختصون به .

فالمسلمون والغربيون إذا فهموا السياسة على أنها أسلوب الحكم وطريقته . أما دراسة هذا الأسلوب من نواحي شكله ونظامه ومزاياه وعيوبه ، ومن نواحيه في داخل الدولة وخارجها، وعلاقتها بغيرها من الدول ، سواء أكانت هذه الدراسة في الزمن الحاضر ، أم في الماضي فإن هذا هو ما يطلق عليه علم السياسة .

الأدب السياسي أو أدب السياسة هو فن القول – شعرا وكتابة وخطابة وحوارا – الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييدا أو تفنيدا ، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم.

فالأدب السياسي ليس وليد العصر الإسلامي ، وإن كان قد استكمل خصائصه ومعالمه في العصر الإسلامي .

---

(١)ابن خلدون ، **المقدمة** ، ص ١٥٩ .

ففي الجاهلية أدب سياسي كثير ، ولكنه مصبوغ بصبغة قبلية ، إذ كانت القبيلــة وحــدة واحدة في المجتمع العربي . وهي بهذا المعنى تشبه الدويلة إلى حد بعيد . ذلــك أن الدولــة أو الدويلة تقوم على دعائم ، أهمها وحدة الجنس ، ووحدة اللغة ، ووحدة الإقليم ووحــدة المصــالح أقتصادية ، والاتفاق في الأهداف والآمال والآلام والمشاعر[١].

أما وحدة الدين فلم يعد علماء السياسة يعتدونها من مقومات الدولة، مع الأخذ بعين الاعتبــار أن النموذج الإسلامي يخالف هذا الرأي وينقضه إذ إن العرب كانوا قبائل متفرقــة جمعهــم الــدين وارتقى بهم في كل مناحي الحياة وعلى رأس هذا الارتقاء يأتي الأدب .

الشعر السياسي

لم يلتزم الشعر بالسياسة التزاما حقيقيا إلا بعد مقتل الخليفةَ عثمان بن عفان رضــي الله عنه ، وما أعقبه من فتن وحروب أهلية متصلة انقسم العرب فيها إلى شيع وأحزاب تتنافس على السلطة وتختلف في فهمها لنظام الحكم .

وحين استتب الأمر لمعاوية بعد مقتل علي كان هناك عدة أحزاب سياسية وكــان لكــل حزب شعراؤه الذين يعبرون عن أهدافه ومفهومه للحكم وحقه فيه .

وظلت العقيدة محورا لتلك الخصومات السياسية بين تلك الأحزاب ، يلتمس كل حــزب فيها بيانا لحقه وإعلاء شأنه وتأييد نظريته ، ويرمي سواه من الأحزاب بــالخروج عليهــا فــي السلوك والأخلاق ونظام الحكم .

---

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ٦ .

على أن كثيرا من الشعراء لم يخلصوا من الانتماء القبلي القديم وظلوا يفخرون بأنسابهم وأيام قبائلهم في الجاهلية ، ومآثر آبائهم وأجدادهم في القِرى والنجدة والبأس. ولعل الأمـويين كانوا من أكثر الشعراء ميلا لهذا الاتجاه[١] .

إن الشعر المتصل بسياسة بني أمية لرعيتهم يعكس صورة الأمويين فإنه كان مجليا فـي ميدان النقض والمعارضة لهم ، وربما نظم هذا الشعر مسايرة لهم . والشعراء في عصر بنـي أمية كالخلفاء اعتمدوا على العصبيات وأشعلوا نارها حتى مزقت الأمة أشياعا وأحزابـا ، بـل كانت من أقوى العوامل التي أسفرت عن سقوط الأمويين وقيام دولة بني العباس . والصـورة التي يعكسها الشعر في خلفاء بني أمية تبرز ما اتصف به كل من معاوية في حلمـه ، وتظهـر عنف يزيد بن معاوية ، وتبرز حزم عبد الملك بن مروان ، وعدل عمر بن عبد العزيز ، وقـوة هشام وعبث يزيد بن عبد الملك ومجون الوليد بن يزيد واضطراب مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين[٢] .

ولا يشك أحد في أن تعدد الأحزاب وتصارعها بالسيوف والأقلام والألسنة واعتماد كـل حزب على شعرائه في الدعاية لنفسه والحملة على خصومه ، كان من أقـوى عوامـل نهضـة الشعر بعامة ، وكان أشد هذه العوامل قوة نشأة و نهوض الشعر السياسي بخاصة، فقـد كـان الخوارج والشيعة والزبيريون ثائرين على الحكم الأموي ونظامه ، وكان الأمويـون مـن بنـي سفيان و من بني مروان حراصا على الحكم ونظامه .

---

(١)عبد القادر القط ، **في الشعر الإسلامي والأموي** ، ص ٢٧٦ .

(٢)عزيزة فوال ، **السياسة والأدب في العصر الأموي** ، صـ٣٣٦ .

وكانت هذه الأحزاب السياسية تختلف في الأسس التي قامت عليهـا ، وتتبـاين فـي أهـدافها ومناهجها ووسائلها ، وكان لكل منها شعراؤه الذين ينافحون عنه ، ويلاحون دونه ، ويسـتلون ألسنتهم و أقلامهم في تقويض خصومه[(١)] .

وكانت أغراض الشعر الأموي هي أغراض الشعر الجاهلي من مـدح وهجـاء وفخـر ورثاء ووصف وتشبيب وغيرها ، وقد طرق الشعراء هذه الأغراض جميعهـا التـي تناولهـا الشعراء من قبل إلا أنه ظهر غرض جديد من الشعر في هذا العصر هو الشعر السياسي الـذي كان صدى للخصومات السياسية والعداوات القبلية والمنافرات الحربية ، فكان الشعر السياسـي عند شعراء الأحزاب السياسية كقطري بن الفجاءة والطرمـاح والكميـت وجريـر والفـرزدق والأخطل وعبد الله بن قيس الرقيات . كذلك ظهر في شعر الشعوبية[(٢)] .

والشعوبيون هم الذين يسوون بين العرب وغيرهم أو يفضلون غير العرب على العرب، ومن هؤلاء الشعراء إسماعيل بن يسار وإخوته محمد وإبراهيم وهـم مـن عنصـر فارسـي، والحيقطان الشاعر وهو من سلالة حبشية، وابن رباح وهو من أصل زنجي ، وسواهم .

ويعد الشعر السياسي من الأغراض الجديدة في الشعر العربي آنذاك فقد اصطبغت تلـك الحقبة بالسياسة في كل مناحي الأدب إذ إن الشعر الذي لا يخوض بالسياسة مباشرة يكون ناتجا عنها كشعر الشعوبية. وكذلك نجد الغزل القصصي ومن أعلامه عمر بن أبي ربيعة و الحـارث المخزومي والغزل العذري ومن شعرائه جميل وكثير وقيس بن الملوح وقيس بن ذريح وتوبـة العامري وسواهم . فهذه الأغراض اختلفت باختلاف الأقاليم وتأثرت بـأحوال البيئـات ، ففـي

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ٢٢٩.

(٢)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ١٣٥ .

الحجاز كثر الترف ، وشغل شباب الهاشميين بما أتيح لهم من فراغ ونعيم عن المطالبة بالملك والاشتغال بالسياسة ، وانصرفوا إلى مجالس الغناء ومشاهدة الجمال[(١)].

يقول كارل بروكلمان في كتابه العرب والأمبراطورية العربية: "إن الشعر السياسي كان هو النفس الغالب في ما بعد ، ففي خلافة هشام بن عبد الملك ناضل الكُميت بشعره دون حق آل النبي في الخلافة وحق أبناء فاطمة فيها بخاصة . ولم يعالج الشعراء وترا من قيثارة القريض أرق من هذا الوتر الجافي وأعذب ، إلا في جزيرة العرب نفسها. ذلك بأن مكة والمدينة انتهتا – بعد انقضاء دورهما السياسي – إلى أن تصبحا موطنا للهو والاستمتاع بمناعم الحياة"[(٢)].

وإنني لأرى أن في هذا القول مبالغة واضحة واتهام لبني أمية فيه كثير من التزيد رغم أن بعض خلفاء بني أمية قد نحى هذا المنحى إلا أن هذا التأثير لم يصل إلى كل أهل مكة والمدينة ، إذ استطاعتا أن تحافظان على مركزهما الديني رغم كل الظروف التي مرتا بهما .

وفي العراق كثرت الأحزاب واضطرمت العصبيات ، واستحكم الخلاف السياسي، واشتدت المعارضة لبني أمية ، فكان الشعر صورة واضحة لما يعتمل في المجتمع من حياة ثائرة ، وفتنة عارمة ، وخصومات عنيفة فهو قوي يكثر فيه الفخر والهجاء ، ويصطبغ بالصبغة البدوية الجزلة ، وفي هذه البيئة ولد الشعر السياسي .

أما الشام فكان مهد الحكم ومقر الخلفاء ، ومثابة الشعراء وكعبتهم التي يحجون إليها ، حاملين ما جادت به خواطرهم وفاضت به مشاعرهم ، ثم يعودون وقد احتقبوا سني الجوائز وعظيم الصلات . وفي ظلال الخلافة بالشام جرت ريح الشعر رخاء ، تطرق أبواب أغراضه الأخرى في رفق ويسر .

---

(١) المصدر السابق ، صـ ٨٧.

(٢) كارل بروكلمان ، **العرب والإمبراطورية العربية** ، ص ١٩٤، ج١.

كما ظهر فن جديد من الشعر في العصر الأموي استلزمه الجـدل السياسـي والقبلـي والاجتماعي والأدبي ونبغ فيه كثير من الشعراء كجرير والفـرزدق والأخطـل ألا وهـو فـن النقائض . إذ يقول أحدهم قصيدة في موضوع وغالبا ما يكون الفخر أو الهجاء فيهب الآخر للرد عليه والأخذ بالثأر منه ، فينظم قصيدة على نمط القصيدة الأولى وزناً وقافية غالبا ، يبطل فيهـا معاني الشاعر الأول وكل أفكاره ، ويعكس المعارض ، والمعارضة التي هي تأييد لكـل أفكـار القصيدة المعارضة وهي تختلف عن المنافرة التي يفتخر فيها الرجلان بشعرهما ويحتكمان إلـى آخر ليفصل بينهما في القضية[1] .

فإذا كانت النقائض القبلية قد وجدت في العصر الجاهلي فيما قبل يومي الكـلاب الأول والكلاب الثاني ، والنقائض الدينية قد وجدت في عصر النبوة بين حسان بن ثابت وابن الزبعرى وضرار بن الخطاب مثلا فإن النقائض الأموية فن سياسي وأدبي جديد نشأ بتأثير الحاجة إليه في شئون السياسة والعصبية والأدب ، فالجانب السياسي والأدبي منه جديد كل الجدة ، أما الجانـب الاجتماعي والقبلي فهو تطور للجدل القبلي الجاهلي القديم .

الأحزاب السياسية وأثرها في الأدب

لم يكد الرسول صلى الله عليه وسلم يلحق بالرفيق الأعلى حتى بدرت العصبية المتوارية ونجم النزاع على من يخلفه . وكان هذا النزاع بين طـائفتين اثنتـين مـن المسـلمين ؛ هـم المهاجرون والأنصار ، لكن المهاجرين ممثلين بأبي بكر وعمر سرعان ما أخمدوا الفتنة.

وقد مثل الشعر غبطة قريش بالخلافة ، إذ قال أبو عبرة القرشي[2]أبياتا استبشر فيها ببيعة أبـي بكر، وندد بتطلع الأنصار إلى الخلافة ، ومنها[1] :

---

(١)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، صـ ١٥٣ .

(٢) هو ابن عبادة أحد الانصار الذين كانوا يريدون الخلافة .

شُــكْراً لِمــن هــو بِالثَنَــاءِ حقِيــقُ ذَهــب اللجــاج وبويــع الصــدِيقُ

مِن بعــدِ مــا زلــتْ بِســعدٍ فَعلُــه ورجــا رجــاء دونَــه العيــوقُ

إِن الخِلافَــةَ فِــي قُــريشٍ مــا لَكُــم فِيهــا ورب محمــدٍ معـــروقُ[٢]

لكن الأنصار لم يرتضوا هذه الدعوى فراحوا يشيدون بأعمالهم في نصرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وحماية الدين وإيواء المهاجرين ، ويتحسرون على صنيعهم الذي ضاع يقول حسان بن ثابت: [٣].

نَصــرنَا وآوينَــا النبِــي ولَــم نَخَــفْ صــروفَ الليــالِي والــبلاء علَــى رجــل

بــذَلْنَا لَهــم أَنْصــافَ مــال أَكُفنَــا كقِســمةِ أَيســار الجــزور مِــن الفَضــل

فَكَــان جــزاء الفَضــل مِنــا علَــيهم جهالَتُهم حمقَــاً ومــا ذَاك بِالْعــدل

واحتدم اللجاج بين شعراء قريش والأنصار ، فعمرو بن العاص يتهكم بتطلع الأنصــار إلى الخلافة ، ومالك بن العجلان الأنصاري يرد عليه ، ثم يدعو خزيمة بن ثابت الأنصاري إلى الموادعة والكف عن هذا اللجاج[١]

انقضى عهد أبي بكر وعمر في سلام ووئام، إذ كفلا للمسلمين أسباب الرضا والطمأنينة وحققا لهم التسوية في الحقوق ، وكان المسلمون في عمل جاد شاق متصل بالفتوح وإقرار النظام الجديد ، ودرء الخطر المتهدد من الفرس والروم .

---

(١)ابن ابي الحديد ، **شرح نهج البلاغة** ، ج ٦، ص ٨.

(٢) **المصدر نفسه** ، ج ٦، ص ٨.

(٣)حسان بن ثابت ، **الديوان** ، ص ٢٧٢.

[١] ابن ابي الحديد ، **شرح نهج البلاغة ، ج**٦، ص١٠ .

فلما انقضى العهدان عهد أبي بكر وعمر تغيرت الظروف وتبدلت الأحـوال، وجـدت أسباب جعلت المسلمين يجدون فروقا بين الحياة المثالية التي نعم بها آباؤهم فـي العهـد الأول للإسلام والحياة الواقعية التي يعيشون فيها .

وكان من أثر هذا أن بدأ التذمر يظهر ويعلو على السطح ، ودبت الفتنة ، وسخط كثيـر من المسلمين على حكم الخليفة عثمان ، ثم انفجرت مراجل السخط ، وكان عثمان ضحيتها .

فاتسعت الهوة بين المسلمين وعصفت فرقتهم بوحدتهم ، فنشأت الأحزاب السياسية، التي كان لها في تلك الظروف بيئة خصبة للظهور واقتناع الكثيرين بها.

وقد كانت أحزابا سياسية حقيقية ، لكل منها مذهبه وآراؤه ونظرياته في الحكم ، ولكـل وسائله في الدعاية لآرائه ووسيلة تحقيقها ، والتطور بها من نطاق الرأي والفكـر إلـى ميـدان العمل . فهي في هذه الناحية تشابه كثيراً الأحزاب الحديثة ، إذ إنها تشاركها في أن لكـل منهـا مناهجه ونظمه وأهدافه وجهوده التي يسلكها في تحقيق أغراضه لتتحقق له الأهداف التي يسعى إلى الوصول اليها.

ثم كثرت الأحزاب السياسية في عصر بني أمية ، من أمويين وعلويين وشيعة وخوارج وغيرهم ، كما انتشرت ببواعث سياسية العصبيات القبلية بين العدنانية والقحطانيـة وغيرهمـا وذلك مما أدى إلى نشأة الأدب السياسي في هذا العصر(١) .

كان معاوية بن أبي سفيان داهية معتزا بأسرته الأموية اعتزازا كبيرا و بدولته الناشـئة وملكه الفتي . وكان أظهر أعماله أنه نقل الحكم الإسلامي من خلافة شورية إلى ملـك مسـتبد يحرص على تثبيته ودعمه وإعلاء صرحه .واستعان بأسرته من بني أمية وبني عبـد شـمس ، كما استعان بالقبائل العربية المقيمة في بلاد الشام وما جاورها ، والتي أغدق عليها العطاء وهو

---

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ ١١ .

والٍ لعمر وعثمان على الشام ، ثم وهو يقارع علي بن أبي طالب ويجالده بالسيوف فـي سـبيل الملك ، ثم وهو خليفة وأمير للمسلمين .

وعمل معاوية على إيقاع الخلاف بين القبائل المختلفة وضرب بعضها بـبعض وبـذلك أحيا العصبية القديمة التي حاربها الإسلام . ثم إن معاوية لم يكن يثق بأهل مكة والمدينة لانحياز أهلهما إلى آل البيت ، ولا بالعرب المقيمين في الكوفة والبصرة لأن الكثيـر مـنهم شـيعيون ، ولكنه جهد في استمالة العرب القاطنين في بلاد الشام وعلى مشارفها ، كما جهد فـي اسـتمالة القبائل اليمنية وتزوج من إحدى بطونها ، من قبيلة كلب ، أم ابنه يزيد ، كما جهد في اسـتمالة القبائل القيسية وبعض القبائل المضرية إليه .

وأكثر معاوية من التهديد والوعيد وبذل الأموال وفرق العطاء ، وأكثر من الإغداق على أهل الحجاز وبخاصة مكة والمدينة لأنهم أصحاب الرأي النافذ بين المسلمين ، وضاعف عطـاء الحسن والحسين أضعافا كثيرة فجعله ألف ألف درهم وكان على عهـد عمـر خمسـة آلاف . فاستتب له الأمر وكان يقول تصويرا لدهائه و سياسته : والله لو كان بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت إن شدوا أرخيت وإن أرخوا شددت[1] .

على أن القول بهذا الادعاء من أن الأمويين قد بعثوا العصبية القبلية ، وقربوا مجموعـة من القبائل واضطهدوا أخرى ، فيه تعميم كثير ذلك أنه إن صح إطلاق هذا الحكم على بعـض خلفائهم ، فإنه لا يصح إطلاقه على سائرهم ، فإن أقلهـم ومـن شـحنت عهـودهم بالمنافسـة السياسية، وشهدت قوة تيار العصبية القبلية هم الذين انجرفوا في هذا التيار[1]؛ كالوليد بن يزيـد ومروان بن محمد ، فإنهما انحازا للقبائل القيسية ، وسليمان بن عبد الملك فإنه تحـزب للقبائـل

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج٤، ص١٨٠ .

(١) الدوري عبد العزيز، ١٩٦١، **مقدمة في تاريخ صدر الاسلام، بيروت،** صـ ٦٥ .

اليمنية ، وإذا ما استثنينا بعضا من مدة حكم معاوية بن أبي سفيان الذي اضطر إلى استعمال هذه السياسة أحيانا فإننا نجد أن من طالت مدة حكمهم كعبد الملك بن مروان وابنه هشام ارتفعوا مـا استطاعوا عن هذه السياسة[١]، واجتهدوا أن يوفقوا بين القبائل المتسابقة في السلطة ، فأشـركوا سادتها في المراكز الإدارية والعسكرية وعملوا على إصلاح أحوال الموالي الاجتماعية والماليـة المتردية .

إذ إن العرب وفي مقدمتهم بنو أمية كانوا يحسون أنهم أهل الرسالة وحملتها وحفظتها ، وأن لهم معرفة وخبرة ، وفيهم فضلا وصلاحا تجعلهم أهلا للنهوض بالخلافة والحكـم عـلاوة على أن الروح العربية كانت في أوج نضوجها وتوهجها[٢].

ولما مات معاوية لم يخلفه أحد في الملك يشبهه في الدهاء والسياسة ، فافترق المسلمون وشبت الثورات وكثرت الأحزاب : من شيعة أنصار بيت علي في الحجاز والعراق ، وزبيريين يشايعون آل الزبير في الحجاز وغيرها ، وخوارج ، وأمويين يدافعون عن ملكهم ونفوذهم .

ووجد ملوك بني أمية أن لا شيء يعيد إلى دولتهم هيبتها واطمئنانها إلا القوة ، فوكلـوا بالعراق الحجاج بن يوسف الثقفي وكذلك البلاد الأخرى ووكلوا بهـا ولاة يـأمرونهم باليقظـة والحزم والدهاء واستعمال القوة كلما لزم الامر واستدعت الظروف.

وهكذا ظلت الدولة تموج بالعصبيات إلى عهد انقضائها ، بل إنها كانـت السـبب فـي القضاء عليها وتمهيد الأمر لبني العباس.

كان الشعراء يغذون العصبيات ويلقون القصائد التي تشيد بالأحزاب التي ينتمون اليهـا ومنددة بمثالب الأحزاب الأخرى ومن ذلك ما جاء في مروج الذهب للمسعودي أن عبيد الله بـن

---

(١)المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، ج ٣، ص ٢٢٣ .

(٢) د. حسين عطوان ، **شعراء الدولتين الاموية والعباسية** ، صـ٣٢ .

معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال للكميت الشاعرمحرضا اياه على إثارة العصبية بشعره : "إني قد رأيت أن تقول شيئا تغضب به بين الناس لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما نحب"، فأنشد قصيدة ذكر فيها مناقب بني نزار من ربيعة ومضر وأطنب في وصفهم وفضلهم على بني قحطان وعرض بما كان من شأنهم مع الأحباش وغيرهم ، ومن هذه القصيدة قوله : (٢)

لَنَا قَمرُ السماءِ وكُلُ نَجمٍ   تُشِيرُ إليهِ أيدِي المهتَدِينَا
وجدتُ اللهَ إذْ سمى نِزاراً   وأسكنَهم بِمكةَ قَاطِنِينَا
لَنَا جعلَ المكَارمِ خَالِصاتٍ   ولِلناسِ القَفَا ولَنَا الجبِينَا

وقد ذاع هذا القول في النزارية واليمنية فافتخر كل قبيل بما له من مآثر. وهكذا قامت أحزاب سياسية في هذا العصر كان لها كبير الأثر في حياة الدولة ، ومن بينها حزب بني أمية وحزب العلويين وحزب الزبيريين وحزب الخوارج ، وكان لكل حزب من هذه الأحزاب شعراؤه وخطباؤه . فكثرت الخلافات والثورات والحروب بين العرب بعضهم ببعض وبين العرب والموالي وبين أبناء وفروع الأمويين أنفسهم ؛ وتكرس تبعا لذلك الاضطهاد السياسي لخصوم الدولة.

وترتب على ذلك أن عادت الفنون الأدبية الجاهلية القديمة إلى الظهور ، من الفخر الكاذب والمنافرات والمفاخرات المرة بين العرب في مجتمعاتهم الأدبية وعلى الأخص في المربد بظاهر البصرة والكناسة حول الكوفة .

---

(٢) المسعودي ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، ج ٢، ص ٩٨ .

كما أن تعدد الأحزاب كان له دور بارز في قيام الشعر السياسي والخطابة السياسـية ، وتعدد مذاهب الشعراء الفكرية والسياسية ، وقيام الهجاء بينهم وازدهار فن المـدح والحماسـة ووصف المعارك ورثاء القتلى ، وقد أثمر ذلك كله في نهضة الشعر وقوته.

(وقد تألفت الأحزاب السياسية حول فكرة الإمامة أو الخلافة ومـن أحـق بهـا مـن المسلمين) [١]. فكان لكل عقيدته التي يعتنق في هذا الشأن إلا أن الحزب الأقوى كان حزب بنـي أمية ، حزب الدولة الحاكم .

حزب بني أمية

هو حزب الدولة الحاكم يندمج فيه أهل الشام وكثير من أهل البلدان الأخرى ، وكان لهذا الحزب الذائدون عنه والمدافعون الذين يدفعون خصومه من الزبيريين والخـوارج والشـيعة ، فانقسم الناس أو قل انقسمت الأمة إلى قسمين ، إذا غضضنا النظر عن الزبيريين فقد كان حزبهم عارضا وكذلك الخوارج ، فقد خرجوا على جمهور الأمة . أما عامة الناس فكانوا على قسمين : قسم مع بني هاشم وهو الشيعة ، وقسم مع الأمويين وكانوا يضفون عليهم من صفات الإمامة ما يضفيه الشيعة على أئمتهم ، وإلى ذلك يشير ابن الحنفية إذ يقول : أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أندادا من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يعني بني أمية [٢].

فالحزب الأموي كان يرفع من شأن خلفاء بني أمية وينزلهم منزلة عليا ، فهم خلفـاء الله ورسوله في أرضه ، وطاعتهم واجبة ونجد هذه النزعة واضحة فـي خطـب ولاة بنـي أميـة وقوادهم ، ومن أطرف ما يصورها خطبة زياد حين ولاه معاوية على البصرة ، وهي الخطبـة الموسومة بالبتراء ، فقد جاء فيها :

---

(١)ضيف ،شوقي (١٩٥٩) **التطور والتجديد في الشعر الأموي**(ط ٢)، القاهرة : دار المعارف ، ص ٨٥.

(٢)ابن سعد ، **طبقات ابن سعد** ، ج٥،ص٦٨ .

" أيها الناس ، إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانـا ، ونذود عنكم بفئ الله الذي خولنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكـم علينـا العـدل والإنصاف فيما ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .. وادعوا الله بالصلاح لأئمـتكم ، فإنهم ساستكم المؤدبون ، وكهفكم الذي إليه تأوون " فزياد يقول : إن معاوية وولاته خلفـاء الله في الأرض ، فهم يسوسون الناس بسلطانه ، ويذودون عنهم بفيئه، أو هم بعبارة أخرى أصحاب الحق الإلهي في هذه السياسة وتلك الحكومة التي يحكمون بها الناس . ومما يدل على ذلك أيضـا خطبة مسلم بن عقبة عندما قاد أهل الشام في حرب أهل المدينة الثائرين على يزيد بن معاويـة وهو على أبواب المدينة فقال : ((يا أهل الشام أهذا القتال قتال قوم يريدون أن يدفعوا به عـن دينهم ، وأن يعزوا به نصر إمامهم))[١]، وقد حارب أشياع عبيد الله بن زياد الحسين ومـن معـه على أساس أنهم مرقوا من الدين ، وخرجوا على طاعة الإمام .

وتدل النصوص التاريخية أن بني أمية إنما قتلوا الحسين وزيد بن علي صاحب مـذهب الزيدية لأنهما خالفا الإمام وطالبا بالخلافة . أما بعد ذلك فكان الأمويـون يعـاملون الهاشـميين معاملة حسنة ، وكذلك كان ولاتهم يحترمونهم إن لم يخرجوا أو يدعوا إلى الثورة .

فكانت صورة الخليفة في رأي حزبه صورة مقدسة لها جلالها وخطرها ، فهـو الإمـام الذي تجب طاعته لأن طاعته من طاعة الله ، وطاعة خصومه من طاعة الشيطان .

وقد كان ولاة بني أمية وقادتهم وأنصارهم يدعون لهم دعوة تشبه الشيعة لأئمتهم . وقـد تبعهم الشعراء يدعون في شعرهم نفس الدعوة ويخيل إلى الإنسان أنه لم تكن هناك بلدة ولا قبيلة إلا فيها شعراء لهم نزعة أموية ففي مكة نجد أبا العباس الأعمى وفي المدينة الأحوص ، وفـي الكوفة عبد الله بن الزبير الأسدي ، وفي البصرة جرير والفـرزدق وفـي الجزيـرة الأخطـل

(١)الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٢، ص ٤٢٥.

والقطامي وأعشى تغلب وفي الشام عدي بن الرقاع العاملي . ويتجاوز عدد شعراء بنـي أميـة العشرات إن لم يكن المئات من الذين تغص بهم كتب الأدب العربي وبأشعارهم ، وليس هذه مـا يهمنا أنما تهمنا الصورة التي صاغوها في مدائحهم للأمويين ومن يرجع إلى ما قيل فـيهم مـن أشعار ير رأي العين أن هذه الصورة لونت بعناصر دينية فقد كان شعراؤهم يقـررون دائمـا حقهم وأفضليتهم في إرث النبوة ، وأنهم أولى قريش بهذا الإرث ومن ذلك :

المبحث الرابع: الوفادات

وفادة الأحوص على عبد الملك بن مروان[١]:

تخيـــره رب العبـــاد لخَلقـــهِ   وليـــا وكـــان اللهُ بالنـــاس أعلمـــا

فهو يثبت له أن الله عز وجل اصطفاه لخلقه ، وأنه وكل إليه شئونهم يدبرها كما يشـاء، وانظر في هذه الأبيات التي يمدح بها عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك فيقول[٢]:

صـلى الـذِي الصـلَواتُ الطَيبـاتُ لَـه   والمؤمِنُون إِذَا مـا جمعـوا الْجمعـــا

علَـى الـذي سـبقَ الأقْـوام ضاحِيـــةً   بِالأجر والْحمـدِ حتـى صـاحباه معــــا

هـو الـذي جمـع الرحمـــن أُمتـه   علَى يديـهِ وكـانُوا قَبلَـه شِيعـــــــا

إِن الوليـد أَمِيـر المـؤمِنين لَــــه   ملْـك علَيـهِ أَعـان الله فَارتَفَعـــــــا

فأنت تراه يسمو بالوليد إلى شأوٍ بعيد من التقديس على نحو ما يسمو الشيعة بـأئمتهم ، وتأمل في البيت الأول والثاني ما يصوغ عدي من الدعاء ، فهو يدعو الله أن يصلي على إمامه الوليد ، ويدعو المسلمين كذلك أن يصلّوا عليه في صلواتهم وجمعهم ، فقد جمع الله الأئمة علـى يديه ، وأعانه ليرتفع بها إلى كل ما يريد لها من خير .

وفادة حارثة بن بدر الغُداني على زياد بن أبيه :

ولم يقف الشعراء في هذه الصورة من المديح عند الخلفاء فحسب ، بل ذهبوا يضفونها على ولاتهم وقوادهم ، واستمع إلى حارثة بن بدر الغُداني يقول في زياد بن أبيه[٣]:

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ج١، ص٢٩٨.

(٢)**المصدر نفسه** :ج ١، ص ٢٩٩ .

(٣)الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٢، ص ٧٨ .

فأنْــتَ إمــام معدلٌــةٍ وقصــــــدٍ | وحــزمٍ حِــين تحضــرك الأمــــــور
أخُــوك خَلِيفَــةُ اللهِ ابــن حــــربٍ | وأنْــتَ وزيــره نِعــم الوزيــــــر
بِــأمرِ اللهِ منْصــور معــــــــان | إذَا جــار الرعِيــةُ لَــا تَجــــــور
وكُنْــتَ حيــاً وجِئْــتَ علَــى زمــانٍ | خَبِيــثٍ ظَــاهِرٍ فِيــهِ شُــــــرور
فلَمــا قَــام ســيفُ اللهِ فِيهــــم | زيــاد قَــام أبلَــج مستَنِيـــــر

فأنت تراه يدعو معاوية خليفة الله ، ثم يسبغ على زياد من الصفات الدينية مـا يسـبغه الشيعة على أصحابهم ، فهو إمام عادل ينصره الله ويعينه ، حتى يشفي العراق مما فيهـا مـن شرور ، وإنه ليلقبه أخيرا بأنه سيف الله الذي أرسله إلى العراق رحمة للعباد.

وفي صورة مماثلة لهذه الصورة كان الشعراء يمدحون الحجاج ، فالعديل بـن الفَـرخ العِجلي يقول فيه(١) :

بنَــى قُبــةَ الإِســلامِ حتــى كأنمــا | هدى النَـاس مِـن بعـدِ الضـلال رسـولُ
خَلِيــلُ أَمِيــر المــؤمِنين وســيفُه | لِكُــل إمــامٍ مصــطَفَى وخَلِيــــلُ

فهو ينعت أمير المؤمنين بأنه إمام ، وينعت الحجاج بأنه خليله وسـيفه ، وهـو سـيف يصول بعون الله ، فيهدي الناس من بعد الضلال ، ويبني قبة الإسـلام سـامقة تطـاول عنـان السماء.

وفادة الأعشى على الحجاج :

واستمع إلى أعشى همدان يقول في الحجاج بعد قضائه على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث التي استعصت عليه طويلا(٢):

---

(١) الأصفهاني، **الأغاني** ، ج٢٠، ص١٤ .
(٢)الطبري، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٢،ص١١١٣ .

أَبــى اللهُ إلا أن يــتم نُـــوره ويطْفِــئَ نَــار الفَاسِقِين فَتَخْمــدا

وينْــزِلَ ذُلاً بِــالعِراقِ وأَهلِــهِ لِما نَقَضوا العهد الوثِيــقَ المؤكَــدا

ومــا أَحدثُوا مِــن بِدعــةٍ وعظِيمــةٍ مِن القَول لَم تَصعد إلَــى اللهِ مصعَــدا

فَقَــتْلاهم قَتْلَــى ضــلالٍ وفِتْنَــةٍ وحيهم أَمسى ذَلِيــلاً مطَــردا

ومــا زاحــفَ الحجــاج إلا رأَيتَــه معاناً ملَقــى لِلْفُتُــوح معــودا

وقد وصف جيش بن الأشعث بأنه جيش فاسقين وأهل بغي وبدع وضـلال وفتنـة فـي الدين، ولذلك كانت عاقبتهم الوبال والخسران المبين ، وإنه ليمدح الحجاج بأنه معـان مـن الله يؤيده دائما بنصره.

وفادة كعب الأشْقَري على المهلب:

وفي صورة تشبه هذه الصورة كان الشعراء يمدحون قُواد بني أمية ، سواء منهم من عمل في حروب الخوارج الداخلية ، ومن عمل في الحروب الخارجية ، في خراسان وغيرها ، واستمع إلى كعب الأشْقَري يقول في المهلب في أثناء انتصاره على الأزارقة في كِرمان(١):

لَولَــا المهلــب لِلْجــيشِ الــذِي وردوا أَنْهــار كِرمــان بعــد اللهِ مــا صــدروا

إنــا اعتَصــمنَا بِحبــل اللهِ إذْ جحــدوا بِالمحكَمــاتِ ولَــم نَكْفُــر كَمــا كَفَــروا

جاروا عــن القَصــدِ والإِســلامِ واتبعــوا دِينَــاً يخَــالِفُ مــا جــاءتْ بِــهِ النُــذُر

فكعب يرمي الخوارج بما يرمون به المسلمين من العدول عن محجة الدين ، بـل إنـه ليكفرهم ، فقد جحدوا بمحكم القرآن الكريم ، وهو يشير بذلك إلى قوله عز وجل : {هـو الـذي

---

(١) الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج٢،ص١٠١٧ .

أَنْزلَ علَيكَ الْكِتَاب مِنْه آياتٌ محكَماتٌ هن أم الْكِتَابِ }[١]: فالخوارج كفروا – في رأي كعب – بهذه الآيات المحكمات التي تدعو إلى طاعة الله والرسول وأولي الأمر من المسلمين .

فالأدب تطور في عصر بني أمية تحت تأثير السياسة ، فإن الخطباء والشعراء توزعوا على الأحزاب وأخذوا يقولون خطبهم و ينظمون شعرهم معبرين عن نظريات سياسية جديدة . وكان حزب الأمويين أكثر نفرا ، وكان يليه حزبا الشيعة والخوارج . أما حزب الزبيريين فكان أقل الأحزاب شعرا وشعراء . وكان هذا الشعر السياسي يصبغ بصبغة دينية ، لأنه في الواقع كان يتصل مباشرة بفكرة إمامة المسلمين وخلافتهم ، فطبيعي أن يصب فيه الدين وأن تسيل منه أشعة إلى قصائده ونماذجه .

كان الأمويون أسبق الناس لابتداع واستنان سنة إثارة الشعراء وتحريضهم على خصومهم ؛ فأثاروا شاعرهم الأخطل على الأنصار ، فهجاهم بقوله :

ذَهبتْ قُريشٌ بِالمكَارِمِ كُلهَا   واللؤم تَحتَ عمَائِمِ الأنْصَارِ

مما اضطر النعمان بن بشير النصاري إلى الدخول على معاوية متألما شاكيا ، قائلا في قصيدة له:

وإنِي لأغْضِي عن أُمورٍ كَثِيرةٍ   سَترقَى بِها يوماً إِلَيك السلام

وفادة الأخطل على عبد الملك بن مروان :

وقد كثر الشعراء الذين يهجون الأمويين ، وينتقدون سياستهم ، وكان شعراء الأمويين الكثيرون ، يصدون هذه الحملات ، ويردون على هذه الانتقادات ، ويمدحون بني أمية ،

---

(١) سورة آل عمران الآية ، ٧ .

ويهجون خصومهم فهذا الأخطل يقول في قصيدة تكاد تختصر فنونه الشعرية كلها ، وهي التي مدح بها عبد الملك بن مروان بعد انتصاره على مصعب بن الزبير ، حيث يقول في مطلعها:[١]

خَفَ القَطِـين فَراحـوا مِنْـكَ أو بكَـروا وأزعجَـتْهم نَـوى فِـي صـرفِها غِيَـر

حتى يصل فيها إلى ذكر الممدوح عبد الملك بن مروان وتهنئته بالفوز وإثبات حقه في الخلافة فيقول :

إلَـى امـرِئٍ لا تُعرينَـا نَوافِلُـه أَظْفَـره اللهُ فَلْيهنَـأ لَـه الظفَـر

ويمضي في مدح الخليفة فيصفه بالبأس والنجدة والجود ، وإيثـار المسـلمين بـالخير والمهارة في تدبير الأمور ، وقيادة الجيوش وتدبير العدو ويقص ما كان من حرب عبد الملـك لمصعب حتى تم له النصر :

نَفْسِي فِداء أَمِيـر المؤمِنيـن إذَا أَبدى النواجِـذَ يومـاً صـارم ذَكَـر

الخَـائِضِ الغَمـر ، والميمـون طَـائره خَلِيفَـةِ اللهِ يستَسـقَى بِـهِ المطَـر

في نَبعـةٍ مِـن قُـريشٍ يعصِـمون بِهـا ما إن يـوازي بِـأعلَى نَبتِهـا الشَجـر

فإذا أرضى عبد الملك انتقل إلى بني أمية عشيرته فمدحهم أحسن مدح وأجمله وصـور من أخلاقهم ما أعجب المعاصرون جميعا وذلك قوله :

حشْد علـى الحـق عيـافُو الخَنَـا أُنُـفٌ إِذَا أَلَمـتْ بِهِـم مكْروهَـةٌ صـبروا

لا يسـتَقِل ذَوو الأضـغَان حـربهم ولا يبـين فِـي عِيـدانِهم خَـور

شُمس العداوةِ حتـى يسـتَقَاد لهـم وأَعظَـم النـاسِ أحلامـاً إذَا قَـدروا

بنِـي أُميـةَ نَعمـاكُم مجلَلَـةٌ تَمـتْ فَـلا مِنـةٌ فِيهـا ولا كَـدر

---

(١) أبو مالك ،غياث بن غوث (١٩-٩٠هـ) **ديوان الأخطل** ، شرح مجيد طراد ، بيروت : دار الجيل ١٩٩٥ ، صـ ١٩٢ .

ويشتد نصحه لبني أمية بعد أن وضعت الحرب أوزارها بين عبد الملك وأنصار الزبير، فيبين لهم أن للحرب آثارا سيئة لم تزل بعد ، وما زال في المنهزمين مكر وخداع وكيد فيقول:

بني أُميـةَ قـد نَاضـلْتُ دونَكُـــم ... أَبنَاء قَومٍ هـم آووا وهـم نَصــــروا

أَفْحمتُ عنْكُم بنـي النجـار قـد علِمـتْ ... عليا معـد وكـانُوا طَالَمـــا هـدروا

حتى استَكَانُوا وهم مِنـي علـى مضـضٍ ... والقَولُ ينْفُـذُ مـا لَـا تَنْفُـذُ الإبـــر

بني أُميةَ إنـي نَاصِـح لكُـــــم ... فَلَا يبيـتَن فِـيكُم آمِنَـاً زفَـــــر

والأخطل حريص أن تجني قبيلته ثمار هذا النصر فهو يذكر عبد الملك ببلاء تغلب فـي الحرب فيقول :

وقَــد نُصِــرتَ أَميــر المــؤمِنين بِنَــا ... لَمــا أَتَــاك بِــبطن الغُوطَــةُ الخَبــر

ثم يمضي في هجاء قيس وتصويرما أصابهم من ألوان الهزيمة في المواقـع المختلفـة تصويرا دقيقا فيه سخرية لاذعة ، حتى إذا فرغ من قيس التفت إلى أنصارهم من كليـب رهـط جرير – الذي كان يدافع عن قيس بلسانه – فيهجوهم هجاء مرا مقذعا .

ولقد كان الأخطل من تغلب ، وتغلب قبيلة من ربيعة كانت تسكن الجزيـرة وشـمالي الشام ، فلما كان الإسلام أقبلت على هذه البلاد قبائل مضرية من قيس ، فزاحمت فيها ربيعة كما زاحمت فيها العرب اليمانية ، فاتفقت مصلحة الأمويين واليمنيين والتغلبيين على محاربة القيسية والمضرية في الشام والجزيرة والعراق حتى تم النصر لعبد الملك على مصعب بن الزبير .

ولذا كان شعر الأخطل السياسي ذا لونين مختلفين ؛ فأما أحدهما فالدفاع عن حزب بنـي أمية والنضال عن سلطانهم وتثبيت حقهم في هذا السلطان ، وأما الثاني فالدفاع عن قبيلة تغلـب

وحلفائها من عرب اليمن المقيمين في الشام ، والإلحاح في هجاء القيسيين خاصة والمضـريين عامة .

وقال الأخطل التغلبي يمدح عبد الملك بن مروان[1]:

لَعمـري لَقَـد أَسـريتُ لا لَيـلَ عـاجِزٍ   بِسـاهِمةِ العينَـين طَاوِيـةُ القُـربِ

فيسترسل في وصف رحلته إلى عبد الملك ويصف ناقته في هذه الوفادة إلى أن يقول :

إِلَيكَ أَميـر المـؤمِنين رحلْتُهـا   علـى الطـائِر الميمـون والمنْـزِل الرحـبِ
إِلى مؤمِنٍ تَجلُـو صـفيحةُ وجهـهِ   بلابِـلَ تَغْشَـى مِـن همـومٍ ومِـن كَـربِ
منَـاخِ ذَوِي الحاجـاتِ يستَمطِرونَـه   عطَـاء كَـريمٍ مِـن أُسـارى ومِـن نَهـبِ
تَرى الحلَقَ المـاذِي تَجـري فُضولُـه   علَـى مسـتَخفٍ بِالنوائِـبِ والحـربِ
أَخُوها إِذَا شَالَتْ عضوضـاً سـما لَهـا   على كُل حـالٍ مِـن ذَلُـولٍ ومِـن صـعبِ
إِمام سما بِالخَيـل حتـى تَقَلْقَلَـتْ   قَلائِـد فِـي أَعنَـاق معلَمـةٍ حـدبِ
شَواخِص بِالأبصـار مِـن كُـل مقْـربٍ   أُعِـد لِهيجـا أَو مواقَفَـةِ الركْـبِ
سواهِم قَـد عـاودن كُـل عظِيمـةٍ   مجللـةَ الشَـطِي طَيبـةَ الكَسـبِ
يعانِدن عن صلْبِ الطَريق مِـن الـوجى   وهـن علضـى العِلاتِ يـردين كالنكْـبِ
إِذَا كلفُـوهن التَنَـائِي لَـم يـزلْ   غُـراب علَـى عوجـاء مِـنْهن أَو سـقْبِ
وفِي كُل عامٍ مِنْكَ لِلـرومِ غَـزوةٌ   بعِيـدةُ آثَـار السـنَابِكِ والسـربِ
يطَرحن بِالدربِ السخَـالَ كَأَنمـا   يشَـقَقْن بِالأسـلاءِ أَردِيـةَ العصـبِ
بنَاتُ غُرابٍ لَم تُكمـل شُهـورها   تَقَلْقَلْـن مِـن طُـول المفَـاوِز والجـدْبِ

---

(١)أبو تمام ،حبيب بن أوس الطائي (١٨٨- ٢٣١ هـ) **نقائض جرير والأخطل**،تحقيق أنطوان صالح اليسوعي، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٢٢ ، ص ٩٧ .

وإن لَها يـومين: يـوم إقامـــــــةٍ ... ويوماً تَشكى القَـض مِـن حـذَر الـدربِ
غَموس الدجى تَنْشَـق عـن متَضـرِمٍ ... طَلُـوبِ الأعـادِي لا سـؤُومٍ ولا وجـبِ
على ابن أَبِي العاصِي قُـريشٌ تَعطفَـتْ ... لَـه صـلْبها لَـيس الوشَـائِظُ كالصلْـبِ
وقَد جعـلَ اللهُ الخِلافَـةَ فِيكُـــــم ... لِـأبيض لا عـاري الخِـوان ولا جـدبِ
عتَبتُم علَينَا قَيس عيلان كُلكُـــــم ... وأَي عـدو لَـم نُبِتْـه علَـى عتْـبِ
لَقَد عِلمتْ تِلْك القَبائِـلُ أَننَـــــا ... مصـالِيتُ جـذامون آخِيـةَ الشـغْبِ

ثم يسترسل في فخره بقبيلته وفعالها في الحروب إلى أن يعود لممدوحه عاطفـا عنـان القصيدة عليه فيقول :

قُـروم أَبِـي العاصِـي غَـداةَ تَخَمطَـتْ ... دِمشْـقُ بِأَشْـباهِ المهنـأَةِ الجـربِ
يقُـودون موجـاً مِـن أُميـةَ لَـم يـرِثْ ... دِيـار سـلَيمٍ بِالحِجـاز ولا الهضـبِ
ملُـوك وأحكَـام وأَصـحاب نَجـدةٍ ... إِذَا شُـوغِبوا كـانُوا علَيهـا أُولِـي شَـغْبِ
أَهلـوا مِـن الشـهر الحـرامِ فَأَصـبحوا ... مـوالِي ملْـكٍ لا طَرِيـفٍ ولا غَصـبِ
تَـذُود القَنَـى والخَيـلُ تُنْثَـى علَـيهم ... وهـن بِأَيـدِي المسـتَمِيتِين كالشُهـبِ

والقصيدة أطول من ذلك إلا أننا نكتفي بإيراد هذا الجزء منها والذي يوضح مـا يريـده الشاعر ممن يمدحهم فقد وصفهم بصفات يعتز بها كل عربي ويفتخر لما تبعثه في الـنفس مـن حماس ويثير شجن السامع ويطربه بوصف بأسهم واستحقاقهم الملك ودفـاعهم عـن الإسـلام بمداهمة الروم و حشد الجيوش لإنجاز الفتوحات وتوسيع رقعة الدولة حتـى وإن كلفهـم ذلـك الكثير.

وفادة الفرزدق على سليمان بن عبد الملك :

ومن قصيدة للفرزدق يمدح فيها سليمان بن عبد الملك يصفه بصفات عظيمة في قصيدة أرى أنها من أجمل ما قيل في المدح زمن بني أمية ، حيث يأخذ الشاعر الممـدوح مـن بـلاط قصره إلى علياء المجد والفخر وذكر ما يجعل الخليفة يطرب طربا لهذه الوفادة التي يقر فيهـا الشاعر حق الخليفة بالخلافة وأن الله اختاره لها فملأها عدلا وخيرا ورفاهاً. يقول الفرزدق فـي مطلعها[1]:

تَـرى كُـل منْشَـق القَمِـيصِ كأنمـا عليْـهِ بِـهِ سِـلْخٌ تَطِيـر رعابِلُـه

ثم تراه يسترسل في وصف ارتحاله لممدوحه ذاكرا لزوجه نوار ما سـيراه مـن أخطار وأهوال حتى يجعلها تبكي مشفقة عليه من هذه الرحلة بقوله :

ولما رأَتْ ما كـان يـأْوي وراءهـا وقُدامهـا قَـد أَمعرتْـه هزايلُـه

كُباب مِن الأَخْطَـارِ كـان مراحـه عليهـا فـأودى الظلْـفُ مِنْـه وجامِلُـه

بكَتْ خَشْـيةَ الإِعطـابِ بِالشـأمِ إن رمـى إِليهِ بِنَـا دهـر شَـدِيد تَلاتِلُـه

ثم يطمئنها لتعدل عن البكاء بأنه إنما يفد على من يؤمنه من غوائل الحاجـة وعاديـات الزمان . فيقول:

فَـلا تَجزعِـي إِنـي سـأَجعلُ رحلَتِـي إِلَـى اللهِ والبـاغِي لَـه وهـو عامِلُـه

سـليمان غَيـثُ الممحِلِـين ومـن بِـهِ عن البـائِسِ المِسكِـين حلـتْ سلاسِلُـه

وما قَـام مـذْ مـاتَ النبـي محمـد وعثْمـان فَـوقَ الأَرضِ راعٍ يعادِلُـه

---

(١)الفرزدق ،أبو فراس همام بن غالب التميمي(ت ١١٠ هـ) ، **ديـوان الفـرزدق** ، دار صـادر بيـروت ١٩٦٦،ج٢، ص٨٧ .

أَرى كُلَّ بحـرٍ غَيـر بحـرك أَصـبحتْ تَشَقَقُ عـن يـبسِ المعِـين سواحِلُـــــه

كأن الفُراتَ الجـون يجـري حبابـــه مفَجــرةً بــين البيـــــوتِ جداوِلُـــه

وَقَد عِلمـوا أن لَـن يميـلَ بِـك الهـوى ومـا قُلْـتَ مِـن شَـيءٍ فَإِنـك فَاعِلُـــه

إلى آخر القصيدة التي يذكر الشاعر أن الله اصطفى بني أمية للحكم وخصوصا سـليمان حتى إنه ليزعم أنه أفضل من حكم بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وهو إنما يحتج لسليمان بأنه الأجدر بالخلافة حزما وكرما وعدلا ..

وفادة الأعشى على عبد الملك بن مروان :

كان أعشى بني ربيعة الشيباني – عبد الله بن خارجة بن حبيب – مروانـي المـذهب، شديد التعصب لبني أمية ، تردد على خلفائهم ومدحهم ونال صلاتهم ، ولا سيما عبد الملك بـن مروان وسليمان بن عبد الملك .

فيخلع عليه صفات عظيمة في قوله: غيث الممحلين، والبائس المسكين وهذا كله ليرضي ممدوحه وينال ما ستجود به كفه من النوال والعطاء.

وفد على عبد الملك وهو يتردد في الخروج لمحاربة ابن الزبير ولا يجِد . فقـال : يـا أمير المؤمنين مالي أراك متلوماً ينهضك الحزم ، ويقعدك العزم ، وتهم بالإقدام ، وتجـنح إلـى الإحجام ، انفُذ لنصرتك ، وامض رأيك ، وتوجه إلى عدوك ، فجـدك مقبـلٌ، وجـده مـدبر ، وأصحابه له ماقتون ، ونحن لك محبون ، وكلمتهم متفرقة ، وكلمتنا عليك مجتمعـة . والله مـا تؤتى من ضعف جنان ، ولا قلة أعوان ، ولا يثبطك عنه ناصح ، ولا يحرضك عليه غاش. وقد قلت في ذلك أبياتا . فقال عبد الملك : هاتها ، فإنك تنطق بلسان ودود وقلب ناصح . فقال :

آل الزبيــر مــن الخِلافَــةِ كالتِــي | عجـل النتـاج بِحملِهـا فَأحالَهـا
أَو كالضـعافِ مـن الحمولَـةِ حملَـتْ | مـا لا تُطِيـقُ فَضـيعتْ أَحمالَهـا
قُوموا إِلَـيهم لا تَنَامـوا عنْهـم | كَـم لِلْغُـواةِ أَطَلْتُـم إِمهالَهـا
إِن الخِلافَـةَ فِيكُـم لا فِيهـم | ما زلْتُـم أَركانَهـا وثِمالَهـا
أَمسوا علَى الخَيـراتِ قُفْـلاً مغْلَقـاً | فَـانْهض بِيمِنِـك فَافْتَحِ أَقْفَالَهـا

فضحك عبد الملك وقال : صدقت يا أبا عبد الله ، إن أبا خُبيب – كنيـة عبـد الله بـن الزبير- لقفلٌ دون كل خير ، ولا نتأخر عن مناجزته إن شاء الله ، ونستعين الله عليـه ، وهـو حسبنا ونعم الوكيل . وأمر له بصلة سنية(١) .

فهو لا يرى ابن الزبير أهلا للخلافة ، ويحرض عبد الملك علـى قتالـه ، ويؤكـد أن الخلافة حق للأمويين لا للزبيريين ، ويصف ابن الزبير بأنه غاوٍ مضِل .

وفادة الأعشى على الحجاج بن يوسف :

وسأعرض مقتطفات لجانب آخر من الوفادة السياسية ألا وهو حملة الشعراء الوافـدين لدى خلفاء وولاة بني أمية على خصوم الأمويين وكيف أنهم يزعمون أن الله ناصـرهم لأنهـم حزب الله ، واصفا خصومهم بالكفر والضلال ، وهذا صريح في كثير من شعر الشعراء . يقول أعشى همدان في مدح الحجاج لما قضى على ثورة عبد الرحمن بن الأشعث وهذا أيضـا ممـا يوضح أن خلفاء بني أمية وولاتهم يحكمون بتفويض من الله ، في نظر شـعراء هـذا الحـزب المدافعين عنه والمنافحين عن آرائه وولاته القائمين عليه وظهور المعاني الإسلامية التي تخلـع على الخلفاء القداسة ، وتمجيد جيوشهم ووصفها بأوصاف من شأنها أن تثير الرعب في نفـوس

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ج ١٦ ، ص ١٦٣.

أعداء هذا الحزب من خلال عرض هنات الأعداء وكيف أن الله سيمزقهم كل ممزق ، فيظهـر الأمويين بأبهى صورة يظهر بها المنتصر . يقول الأعشى [(١)]:

وما أحدثُـــوا مِـن بِدعـةٍ وعظيمـةٍ ... مِن القَـول لَـم تَصـعد إلَـى اللهِ مصـعدا
وما نَكثُـوا مِـن بيعـةٍ بعـد بيعـةٍ ... إذَا ضـمنُوها اليـوم خَاسـوا بِهـا غَـدا
فَلا صِدقَ فِي قَـولٍ ولا صـبر عِنْـدهم ... ولَكِـن فَخْـرا فِيهـم وتَزيـدا
فَكَيفَ رأَيتُ اللهَ فَـرقَ جمعهـم ... ومـزقَهم عَـرض البِـلادِ وشَـردا
فَقَتْلاهـُم قتْلَـى ضـلالٍ وفِتْنَـةٍ ... وحيهـم أمسـى ذَلِيـلاً مطَـردا
جنُود أَميـر المـؤمِنين وخَيلُـه ... وسـلْطَانُه أمسـى عزِيـزاً مؤَيـدا
فَيهنَى أَمِيـْر المـؤمِنين ظُهـوره ... علَـى أُمـةٍ كانُـوا بغَـاةً وحسـدا
وجدنَا بنِـي مروان خَيـر أَئِمـةٍ ... وأَفْضلُ هـذِي النـاسِ حِلْمـاً وسـؤددا
وخَير قُريشٍ فِـي قُـريشٍ أرومـةً ... وأَكْرمهـم إلا النبِـي محمـدا
إذَا مـا تَـدبرنَا عواقِـب أمـره ... وجـدنَا أَمِيـر المـؤْمِنين مسـددا
سيغْلَب قَـوم غَالَبـوا اللهَ جهـرةً ... وإن كَايـدوه كَـان أَقْـوى وأَكْيـدا
كَذَاك يضِلُّ اللهُ من كَـان قَلْبـه ... مريضـاً ومـن والَـى النفَـاقَ وأَلْحـدا

ونلاحظ أن الأعشى قد نعت بني أمية بنعوت تظهر أنهم كانوا على الحق وأن غيـرهم على الباطل ، وأن الله مزق أعداءهم وأذلهم الله لهم ومكنهم منهم ، فأصبح أمير المؤمنين وقـد أيده الله بأن مكنه من أهل العراق أهل البدعة والضلال كما يصفهم الأعشى على ما أحدثوه مـن بدع عظيمة ونكثهم البيعة التي بايعوا ، واصفا قتلاهم بأنهم قتلى فتنة وأن حيهم مشرد وذليل في الأرض .

---

(١) الأعشى ، **ديوان الأعشى** ، صـ ١٠٢ .

وفادة عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية :[١]

قدم عبد الله بن جعفر على يزيد بن معاوية ، فقال له : كم كان عطاؤك ؟ فقال له : ألف ألف . قال : قد أضعفناها لك . قال : فداك أبي وأمي ، وما قلتها لأحد قبلك ! قال : قد أضعفناها لك ثانية . فقيل ليزيد : أتعطي رجلا واحدا أربعة آلاف ألف ؟ فقال : ويحكم ، إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين ، فما يده فيها إلا عارية .

فلما كان في السنة الثانية قدم عبد الله بن جعفر ، وقدم مولى له يقال له نافع ، كانت له منزلة من يزيد بن معاوية . قال نافع : فلما قدمنا عليه أمر لعبد الله بن جعفر بألف ألف ، وقضى عنه ألف ألف ، ثم نظر إلي فتبسم ، فقلت : هذه لتلك الليلة . وكنت سامرته ليلة في خلافة معاوية وأسمعته فيها فذكرته بها . وقدمت عليه هدايا من مصر كثيرة ، فأمر بها لعبد الله بن جعفر : وكانت له مائة ناقة ، فقلت لابن جعفر : لو سألته منها شيئا نحتلبه في طريقنا ؟ ففعل ، فأمر بصرفها كلها إليه . فلما أراد الوداع أرسل إلي فدخلت عليه ، فقال ويلك ! إنما أخرتك لأتفرغ إليك ، هات قول جميل :

خَليلَيَّ فيما عِشْتُما هل رأيتُما قتيلاً بكى من حب قاتِلِهِ قبلي

قال : فأسمعته، فقال: أحسنت والله؛ هات حاجتك! فما سألته شيئاً إلا أعطانيه، فقال: إن يصلح الله هذا الأمر من قِبل ابن الزبير تلقنا بالمدينة ؛ فإن هذا لا يحسن إلا هناك. فمنع والله من ذلك شؤم ابن الزبير.

ونحن نرى في هذه الوفادة كيف أن يزيد أعطى عبد الله بن جعفر دون حساب أو حتى استماع إلى لوم من لاموه على فعله ، فأعطاه ثم أضعف له وفي السنة اللاحقة أعطاه ثم أضعف

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج ١ ، ص٢٦٩.

له وقضى ديونه . وكان رده على من لامه : إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين ، فما يده فيها إلا عارية . فيزيد يعلم المغزى السياسي الذي يضمره في نفسه ولا يعرفه الحاضرون ، وهو أنـه يكسب ود ابن جعفر وضمان ولائه له إنما هو يكسب ود أهل المدينة أجمعين .

وفادة محمد بن طلحة على عبد الملك بن مروان :

وفد محمد بن طلحة مع الحجاج عندما كان ولي الحرمين لعبد الملك بن مـروان كـي نتبين من خلالها كيف يكون الوافد ناصحا للأمة والخليفة حتى على من يرافقه في الوفادة مقدما أمر الدولة على مصلحته الخاصة .

قال عمران بن عبد العزيز [(١)]:

لما ولي الحجاج بن يوسف الحرمين بعد قتله ابن الزبير، استخاص إبراهيم بن محمد بن طلحة فقر به وعظم منزلته، فلم تزل تلك حاله عنده حتى خرج إلى عبد الملـك ابـن مـروان، فخرج معه معادلاً، لا يقصر له في بر ولا إعظام، حتى حضر به عبد الملك، فلما دخل عليه لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن قال له: قدمت عليك أمير المؤمنين برجل الحجاز، لم أدع لـه بهـا نظيراً في الفضل والأدب والمروءة وحسن المذهب، مع قرابة الرحم ووجوب الحق وعظم قـدر الأبوة، وما بلوت منه في الطاعة والنصيحة وحسن المؤازرة، وهو إبراهيم بن محمد بن طلحة، وقد أحضرته بابك ليسهل عليه إذنك، وتعرف له ما عرفتك.

فقال: أذكرتنا رحماً قريبة وحقاً واجباً. يا غلام، إئذن لإبراهيم بن محمد بن طلحة.

فلما دخل عليه أدناه عبد الملك حتى أجلسه على فراشه، ثم قال له: يابن طلحة، إن أبـا محمد ذكرنا ما لم نزل نعرفك به في الفضل والأدب والمروءة وحسن المذهب، مع قرابة الرحم

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١ ، ص ٢٧٥ .

ووجوب الحق وعظم قدر الأبوة، وما بلاه منك في الطاعة والنصيحة وحسن المـوازرة، فـلا تدعن حاجة في خاصة نفسك وعامتك إلا ذكرتها.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن أول الحوائج وأحق ما قُدم بين يدي الأمور ما كـان لله فيـه رضا، ولحق نبيه، صلى الله عليه وسلم، أداء، ولك فيه ولجماعة المسلمين نصـيحة، وعنـدي نصيحة لا أجد بداً من ذكرها، ولا أقدر على ذلك إلا وأنا خال، فأخلني يا أمير المـؤمنين تـرد عليك نصيحتي.

قال: دون أبي محمد؟

قال: نعم، دون أبي محمد.

قال عبد الملك للحجاج: قُم.

فلما خطرف الستر[1] أقبل علي، فقال: يا بن طلحة، قل نصيحتك.

فقال: تالله يا أمير المؤمنين، لقد عمدت إلى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه وبعـده مـن الحق وقربه من الباطل، فوليته الحرمين، وهما ما هما وبهما ما بهما من المهاجرين والأنصـار والموالي الأخيار يطؤهم دون روية لهم في إقامة حق ولا في إزاحة باطل، ويسـومهم الخسـف ويحكم فيهم بغير السنة، بعد الذي كان من سفك دمائهم، وما انتهك من حرمهم، ثم ظننت أن ذلك فيما بينك وبين الله زاهق[2]، وفيما بينك وبين نبيك غدا إذا جاثاك للخصومة[3]. بين يدي الله في أمته، أما والله لا تنجو هناك إلا بحجة، فاربع على نفسك[4]. أو دع.

---

(١) خطرف الستر: أنزل وأرخى.

(٢) زاهق: هالك.

(٣) المجاثاة للخصومة: أي أن يجس كل على ركبتيه مستوفزاً.

(٤) أربع على نفسك: كف وأرفق.

فقال له عبد الملك: كذبت ومِنْتَ وظن بك الحجاج ما لم يجده فيك، وقد يظن الخير بغير أهله، قم فأنت الكاذب المائن.

قال: فقمت وما أعرف طريقاً، فلما خطرف الستر لحقني لاحق، فقال: احبسوا هذا، وقال للحجاج: ادخل، فدخل، فمكث ملياً من النهار لا أشك أنهما في أمري، ثم خـرج الآذن، فقـال: ادخل يابن طلحة.

فلما كشف لي الستر لقيني الحجاج، وهو خارج وأنا داخل، فاعتنقني وقبل ما بين عيني، وقال: أما إذا جزى الله المتواخِيين خيراً بفضل تواصلهم فجزاك الله عني أفضل الجزاء، فـوالله لئن سلمت لك لأرفعن ناظرك، ولأعلين كعبك، ولأتبعن الرجال غبار قدميك.

قال: فقلت: يهزأ بي وحق الكعبة. فلما وصلت إلى عبد الملك أدناني حتى أدنـاني عـن مجلسي الأول، ثم قال: يابن طلحة، لعل أحداً شاركك في نصيحتك هذه؟

قلت: والله يا أمير المؤمنين، ما أعلم أحد أنصح عندي يـداً ولا أعظـم معروفـاً مـن الحجاج، ولو كنت محابياً أحداً لغرض دنيا لحابيته، ولكني آثرت الله ورسوله وآثرتك والمؤمنين عليه.

قال: قد علمت أنك لم ترد الدنيا، ولو أردتها لكانت لك في الحجـاج، ولكـن أردت الله والدار الآخرة، وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت من ولايته عليهما، وأعلمته أنك استنزلتني له عنهما استقلالاً لهما، ووليته العراقين، وما هنالك من الأمور التي لا يدحضها إلا مثله، وأعلمتـه أنك استدعيتني إلى ولايته عليهما استزادة له، لألزمه بذلك من حقك ما يؤدي إليك عنـي أجـر نصيحتك، فاخرج معه فإنك غير ذام لصحبته، فخرجت مع الحجاج وأكرمني أضعاف إكرامه.

وفادة الزرقاء ابنة عدي على معاوية :[١]

بينما معاوية ذات ليلة مع عمرٍو وسعيد وعتبة والوليد، إذ ذكروا الزرقاء ابنة عدي بـن غالب بن قيس الهمدانية، وكانت شهد صِفين مع قومها، فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ قال بعضـهم: نحن نحفظه يا أمير المؤمنين. قال: فأشيروا علي في أمرها . فقال بعضهم : نشير عليك بقتلها. قال: بئس الرأي أشرتم به علي؛ أيحسن بمثلي أن يتَحدث عنه أنه قتل امرأة بعد ما ظفر بها.

فكتب إلى عامله بالكوفة أن يوفدها أن يوفدها إليه مع ثقة من ذوي محارمها وعدة مـن فرسان قومها، وأن يمهد لها وطاء ليناً، ويسترها بستر خصيف، ويوسع لها في النفقة؛ فأرسـل إليها عامله فأقرأها الكتاب ، فقالت : إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلي فإني لا آتيه ، وإن كان حتم فالطاعة أولى .فحملها وأحسن جهازها على ما ُأمر به.

فلما دخلت على معاوية قال: مرحبا وأهلا، قدمت خير مقدم قدمه وافد! كيـف حالـك؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، أدام الله لك النعمة. قال كيف كنت في مسيرك؟ قالت: ربيبة بيـت أو طفلا ممهدا.

قال: بذلك أمرناهم؛ أتدرين فيم بعثت إليك ؟ قالت: أنى لي بعلم ما لم أعلم.

قال: ألست الراكبة الجمل الأحمر، والواقفة بين الصفين يوم صفين تحضين على القتـال؟ فمـا حملك على ذلك؟

قالت: يا أمير المؤمنين ، مات الرأس، وبتر الذنب، ولم يعد ما ذهب، والدهر ذو غِيـر، ومـن تفكر أبصر، والأمر يحدث بعده الأمر.

قال لها معاوية: صدقت، أتحفظين كلامك يومئذ؟ قالت: لا والله لا أحفظه، ولقد ُأنسيته.

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص ٢٤٩ .

قال: لكني أحفظه ، لله أبوك حين تقولين: أيها الناس، ارعووا وارجعوا، إنكم قد أصبحتم في فتنة غشتكم جلابيب الظُّلَم، وجارت بكم عن قصد المحجة، فيا لها فتنة عمياء، صماء بكماء، لا تسمع لناعقها، ولا تنساق لقائدها، إن المصباح لا يضيء في الشمس، ولا تنير الكواكب مـع لقمر، ولا يقطع الحديد إلا الحديد، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه. أيها الناس، إن الحق كان يطلب ضالته فأصابها ، فصبرا يا معشر المهاجرين والأنصار على الغُصص، فكـأن قد اندمل شعب الشتات، والتأمت كلمة العدل، ودمغ الحق باطله؛ فلا يجهلن أحد فيقـول: كيـف العدل وأني؟ ليقض الله أمرا كان مفعولا. ألا وإن خضاب النساء الحنـاء، وخضـاب الرجـال الدماء، ولهذا اليوم ما بعده:

والصبر خير في الأمور عواقبا . إيها في الحرب قُدما غير ناكصين ولا متشاكسين.

ثم قال لها: والله يا زرقاء لقد شركت علياً كل دم سفكه. قالت أحسن الله بشارتك، وأدام سلامتك ؛ فمثلك بشر بخير وسر جليسه. قال أو يسرك ذلك ؟ قالت : نعم والله، لقد سررت بالخبر فأنى لي بتصديق الفعل.

فضحك معاوية وقال : والله لوفائكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته. اذكري حاجتك.

قالت يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي أن لا أسأل أميرا أعنت عليه أبدا ومثلك أعطى عن غير مسألة ، وجاد عن غير طِلبة .

قال : صدقت ! وأمر لها وللذين جاءوا معها بجوائز وكُسا .

ونلحظ في هذه الوفادة نواحي عدة أبرزها أن الخليفة الأموي كان يستذكر أقوال وخطب من وقفوا ضده في صف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، رغم أن قائل هذا القول لا يحفظه، وأدى إلى حفظ هذا التراث والعناية به من الضياع.

كما إن أدب الوافد وهي امرأة هنا يحتم عليه أن لا يطلب عطاء ممن أعان عليه بلسانه أو بسيفه، وإنما يكتفي بما يهبه له الخليفة دون طلب منه .

وفادة أم الخير بنت حريش على معاوية[1]:

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقي برحلها ، وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا وبالشر شرا بقولها فيه ، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه . فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ، ولا معتلة بكذب ، ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري.

فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيرا وبالشر شرا ؛ فما لي عندك ؟ قالت : يا هذا لا يطمعنك برك بي أن أسرك بباطل . ولا تؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق .

فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية . فأنزلها مع الحرم ، ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه . فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، بحق ما دعوتني بهذا الاسم . قالت : يا أمير المؤمنين ، مه ، فإن بديهة السلطان مدحضةٌ لما يحب عمله ، ولكل أجل كتاب . قال : صدقت ! فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى صرت إليك ؛ فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق . قال معاوية : بحسن نيتي ظفرت بكم . قالت : يا أمير المؤمنين ، يعيذك الله من دحض المقال وما تُردي عاقبته . قال : ليس هذا أردنا . أخبرينا كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر ؟ قالت : لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما كانت

---

[1] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص ٣٠٠ .

كلمات نفثها لساني عند الصدمة ، فإن أحببت أن أحدث لك مقالاً غير ذلك فعلت . فالتفت معاوية إلى جلسائه فقال : أيكم يحفظ كلامها ؟ فقال رجل منهم : أنا أحفظ بعـض كلامهـا يـا أميـر المؤمنين . قال : هات . قال : كأني بها وعليها برد زبيدي كثيف بين النسج ، وهي على جمـل أرمك وقد أحيط حولها ، وبيدها سوط منتشر الضفيرة وهي كالفحل يهدر في شِقْشِقته ، تقول :

يا أيها الناس اتقوا ربكم ، إن زلزلة الساعة شيء عظيم ! إن الله قد أوضح لكم الحـق ، وأبان الدليل ، وبين السبيل ، ورفع العلم ، ولم يدعكم في عماء مدلهمة ، فأين تريدون رحمكـم الله ؟ أفرارا عن أمير المؤمنين ؟ أم فرارا من الزحف ؟ أم رغبة عن الإسلام ؟ أم ارتدادا عـن الحق ؟ أما سمعتم الله جل ثناؤه يقول : { ولَنَبلُونكُم حتى نَعلَم المجاهِدِين مِنْكُم والصابِرِين ونَبلُو أَخْبارِكُم } . ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر وضـعف اليقـين ، وانتشرت الرغبة ، وبيدك يا رب أزمة القلوب ، فاجمع اللهم بها الكلمة على التقـوى ، وألـف القلوب على الهدى ، واردد الحق إلى أهله . هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي، والصديق الأكبر ، إنها إحن بدرية ، وأحقاد جاهلية ، وضغائن أحدية ، وثب بها واثـب حـين الغفلة ، ليدرك ثارات بني عبد شمس .

ثم قالت : { قَاتِلُوا أَئِمةَ الكُفْرِ إِنهم لا أَيمان لَهم لَعلهم ينْتَهـون } . صـبرا يـا معشـر المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرة من ربكم ، وثبات من دينكم ، فكأني بكم غـدا وقـد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة ، فرت من قسورة ، لا تدري أين يسلك بها من فجـاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالعمى ، وعما قليل ليصبحن نادمين ، حتى تحل بهم الندامة ، فيطلبون الإقالة ، ولات حين مناص . إنه من ضل والله عـن الحق وقع في الباطل . ألا إن أولياء الله استصغروا عمر الدنيا فرفضوها ، واستطابوا الآخـرة فسعوا لها ، فالله الله أيها الناس ، قبل أن تبطل الحقوق ، وتعطل الحدود ، ويظهر الظـالمون ،

وتقوى كلمة الشيطان ؛ فإلى أين تريدون رحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصهره وأبي سبطيه ، خُلق من طينته ، وتفرع من نبعته ، وخصه بسره ، وجعله باب مدينته ، وأعلم بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين ، ها هو ذا مفلقُ الهام ، ومكسر الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس كارهون ، ، فلم يزل كذلك حتى قتل مبارزي بدر ، وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب ، وقتل الله به أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقا ، وردة وشقاقا ، وزادت المؤمنين إيمانا ، وقد اجتهدت في القول ، وبالغت في النصيحة ، وبا لله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فقال معاوية : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي ، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك . قالت : والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه .

قال : هيهات يا كثيرة الفضول . ما تقولين في عثمان بن عفان رحمه الله ؟

قالت : وما عسيت أن أقول في عثمان ، استخلفه الناس وهم به راضون ، وقتلوه وهم له كارهون .

قال معاوية : يا أم الخير ، هذا أصلك الذي تبين .

قالت : لكن الله يشهد وكفا بالله شهيدا ، ما أردت بعثمان نقصا ، ولكن كان سابقا إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجة غدا .

قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد الله ؟ قالت : وما عسى أن أقول في طلحة ؟ اغتيل من مأمنه ، وأتى من حيث لم يحذر ، وقد وعده رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة .

قال فما تقولين في الزبير ؟ قالت : وما أقول في ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، وقد كان سباقا إلى كل

مكرمة في الإسلام ، وأنا أسألك بحق الله يا معاوية ، فإن قريشا تحدثت أنك أحلمها : أن تسعني بفضل حلمك ، وأن تعفيني من هذه المسائل ، وتسألني عما شئت من غيرها .

قال نعم ونعمةُ عين ، قد أعفيتك منها . ثم أمر لها بجائزة رفيعة وردها إلى مكة .

إن المتمعن في هذه الوفادة يرى أنها تحمل مغاز عديدة ولها أبعاد سياسية واسعة ؛ إذ إن تهديد معاوية للوالي بأنه سيجازيه حسب قول الوافدة ، كأنه يرسل له رسالة أن يحثها على قول المعروف لأنه يتوقع منها ما قالته . إلا أنها لم تمتثل وأخبرت الوالي أنها لن تقول إلا ما يجـول في خاطرها ، بل إنها تتحين هذه الفرصة . ثم إنه أراد أن يعرف أنها إنما عادته لأنهـا كانـت تعادي عثمان بن عفان وذلك بقوله : عندما سألها عن عثمان - يا أم الخير ، هذا أصلك الـذي تبين – فهو يريد أن سوء رأيها في عثمان هو الأصل الذي بنت عليه – وما عفو معاوية عنهـا بعد أن أقرها بأنها إنما قالت ما قالت محرضة على قتله ، لهو أكبر دليل على سعة حلم الخليفـة على وصفحه عن الوافدين وعن مواقفهم منه .

الفصل الثاني

أدب الوفادة الاجتماعية

عوامل ذيوع الشعر الإجتماعي

كان هناك جانب سياسي واجتماعي متداخل ، أعان بعض فنون الشعر على الذيوع والقوة والازدهار ، بعد فترة من الخمول والانكماش وهو صحوة العصبيات القبلية ، وانطلاقها من القيود التي فرضها العهد السابق في صدر الإسلام .

وقد تدخلت عوامل سياسية واجتماعية في إحياء هذه العصبيات التي عملت بدورها على إذكاء فنون الشعر ، التي تدور حول العصبية القبلية ، وتعبر عنها وتنفخ نارها كالهجاء والفخر والحماسة .

وقد توجهت السياسة الأموية للتعصب إلى القبائل القحطانية اليمنية الأصل ضد أكثر القبائل العدنانية (قيسية ومضرية) ، والسبب كما تقدم أن أكثر عرب الشام الذين قامت الدولة الأموية على أكتافهم ، يمنيون نزحت قبائلهم إلى الشام مهاجرة من جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام لأسباب اقتصادية أو بيئية مختلفة .

وقد استمال معاوية هذه القبائل إلى جانبه منذ أن كان واليا على الشام لعمر بن الخطاب، فعقد مصاهرة مع قبيلة من كبريات القبائل اليمنية بالشام وأقواها وهي قبيلة كلب، حيث تزوج ميسون بنت بحدل الكلبية ، ومنها أنجب ولي عهده يزيد .

فإذا أضفنا لذلك أن أكثر عرب العراق الذين ناصروا الشيعة والزبيريين والخوارج ، كانوا من القيسية ، أدركنا سر تعصب بني أمية لعرب اليمنية ، هذا التعصب الذي أثار غضب القيسية وحقدهم على بني أمية .

وقد اختطت البصرة والكوفة في عهد عمر بن الخطاب ولم تلبث القبائل أن نزحت لهما من شتى أرجاء الجزيرة العربية فهاجرت قبائل من اليمن وما جاورها إلى الكوفة ونزحت قبائل من الأنصار ومن شمال الجزيرة العربية إلى البصرة ، فكانت الجيوش المحاربة عندما تعود لديارها ومنها هاتين المدينتين تنكفئ على نفسها وتمارس قبليتها مما يبيح لنا القول بأن الحياة في هاتين المدينتين ارتبطت بالنزعة القبلية .

وكانت القبائل في هاتين المدينتين – البصرة والكوفة – تتنافس تنافسا قبليا ويفخر بعضها على بعض ، ذلك أن الروح القبلية الأصيلة تحفز فيهم هذا التنافس .

فبدأ هذا التعصب ينعكس على الأدب فخرا وهجاء وحماسة ، في ظل ظروف لم يشهدها العصر الجاهلي نفسه إذ إن الجاهليين كانوا متباعدين ، أما العرب هنا فمتجاورون وكل قبيلة تستحث شعراءها ليرموا خصومها بالهجاء اللاذع المر[1]، الذي كثيرا ما يجري من قبل الشعراء الوافدين في بلاط خلفاء بني أمية وتحت رعايتهم. لكي يشغلوا الشاعر بنفسه وبقبيلته أولا ومنافسيه من شعراء القبائل. وأشهر من نفذ من هذا الباب جرير والفرزدق والأخطل .

وكانت تلك الأهاجي تلقى في مربد البصرة وكناسة الكوفة ، فإذا ما ألقيت قصائد الهجاء سارت بها الركبان إلى كل أرض يقطنها العرب ، حتى خلصنا من تلك الأهاجي بما يسمى النقائض .

نماذج من شعر الوفادة الاجتماعية

سنتناول عددا من نماذج الشعر الاجتماعي الذي تخلله عدد من الوفادات الاجتماعية في عدة أبواب من أبواب هذا الشعر المتعلق بعلاقات الشعراء الوافدين مع مجتمعاتهم على ما فيها من طبقات فسنتناول شعرا يخلّد زعماء الحزب الأموي وهو ما يسمى بشعر الرثاء السياسي ثم

---

(١)عبد الهادي، صلاح الدين (١٩٨٦) **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** ،(ط١)، القاهرة : مكتبة الخانجي، ص٥٢ .

شعر الخصومات الفردية (النقائض) وشعر العتاب والفخر والتهنئة والمحاورة الاجتماعية في سيادة الاقوام.

أولا : الرثاء السياسي .

كان حظ الحزب الأموي من شعر الرثاء قليلا ، مع أنه من أكثر الأحزاب استقطابا للشعراء ، وهذا ليس راجعا لقلة أبطال الحزب الذين جادوا بأرواحهم في المعارك الحربية الكثيرة بين الأمويين وأحزاب المعارضة المعاصرة لهم .ولا عن خلو هذا الحزب من الشخصيات القوية ، التي أدت خدمات جليلة في الحفاظ على دولته من كيد أعدائه ، وخلفت وراءها بعد موتها صفحات من الكفاح المخاص ، تسجل مآثرهم في نصرة زعمائه ، وتأييد سلطانهم ، ولا عن فقر في نصيبه من الرجال ، ذوي الرأي والتدبير والحكمة .

وإنما يرجع تأخر الرثاء بين فنون الشعر السياسي للحزب الأموي إلى الشعراء المعبرين عن هذا الحزب ؛ إذ كانت كثرتهم من الشعراء الذين اجتذبهم عطاء بني أمية ، وحركت ألسنتهم فيما يصيبونه من مالهم وجاههم[١]، والرثاء فن يقال بدافع الوفاء للمرثي وبين الرجاء والوفاء بون بعيد ، كما قال العلماء بالشعر قديما[٢]، وزد على ذلك ان بعض الذين أرخوا التاريخ والشعر العربي كانوا من الشيعة فأسقطوا ذلك الشعر الذي يخص بني امية وما نجده من أشعار في الرثاء السياسي الأموي يأخذ اتجاهين :

---

(١)عبد الهادي، **اتجاهات الشعر في العصر الأموي** ، ص ١٥٦ .

(٢)ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ)،**الشعر والشعراء**، تحقيق عمر الطباع دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٩٧ بيروت .

رثاء الخلفاء : وفيه يعنى الشاعر بالنظر إلى المغزى السياسي الذي يمكن أن يوجه إليه هذا الفن؛ ولذا نرى الشعراء يحرصون في رثائهم على إبراز صورة مثلى للسياسة الأموية مجسمة في الخليفة المرثي .

والآخر رثاء القواد والفرسان : وهو رثاء يبكي فيهم البطولة والتضحية في سبيل نصرة الحق ، وإقامة الدين وقوة دولة الإسلام والإبقاء على وحدة الجماعة الإسلامية ، ومن هنا يكثر أن يضفي عليهم الشعراء صفة الشهداء ، ويبشرونهم بأجر الشهادة عند الله.

وقد يلتفتون إلى بعض مناقبهم كالشجاعة وصدق القتال والصبر عليه ، كما يصورون مدى خسارة الدين والدولة بفقدهم .

ومن رثاء الخلفاء الأمويين قول عبد الله بن همام السلولي عندما وفد على يزيد معزيا بوفاة معاوية :[(١)]

تَعزوا يا بنِي حربٍ بِصبرٍ ... فَمن هذَا الذي يرجو الخُلُودا

لَقَد وارى قَليبكُم بيانأ ... وحِلْماً لا كِفَاء لَه وجودا

وجدنَاه بغِيضاً فِي الأعادِي ... حبِيباً فِي رعِيتِهِ حمِيدا

أَمِينَاً مؤمِنَاً لَم يقْض أَمراً ... فَيوجِد غِبه إلا رشِيدا

فَقَد أَضحى العدو رخِي بالٍ ... وقَد أمسى التَقِي بِهِ عمِيدا

فَعاض اللهُ أَهلَ الدين مِنْكُم ... ورد لَنَا خِلافَتَكُم جدِيدا

فترى الشاعر يضفي على معاوية صفات عظيمة من القوة والبأس والقدرة على ضبط الأمور وأن الدولة خسرت كثيرا بفقده ، لكنه في البيت الأخير يمدح يزيدا ويعزي نفسه بأن الخلافة لا تزال بيد بني أمية وردها لهم لتبقى في يد يزيد .

---

(١) رثاء الخلفاء ، صـ٩٦ .

ومن ذلك رثاء جرير لعمر بن عبد العزيز هذه الشخصية الرحبة في جوانب الحق والخير والعدل ، بحيث لا تحوج القائل إلى التزيد والمبالغة ومع هذا فقد وقع جرير رغم عبقريته في هذه الهوة [٢]:

تَنْعى النُعاةُ أَميرَ المؤمِنين لَنَا   يا خَيرَ مَن حجَ بيتَ اللهِ واعتَمرا

حملْتَ أَمراً جسيماً فاصطَبرتَ لَه   وقُمتَ فِيهِ بِحقِ اللهِ يا عمَرا

فالشمس طالِعةٌ ليست بِكاسِفَةٍ   تَبكِي عليك نُجوم الليلَ والقَمرا

ومن رثاء عمال بني أمية وقوادهم وأبطالهم : قول الفرزدق يرثي الحجاج :

ليبك على الإسلام من كان باكيا   على الدين أو شارٍ على الثغر واقفُ

إلى أن يقول[١]:

وما ذَرفَتْ عينَاي بعد محمدٍ   علَى مِثْلِهِ إلا نُفُوس الخَلائِفِ

فالفرزدق يخشى على الإسلام بعد فقد الحجاج ، ويبدي من الجزع عليه ، ما لم يبد على فقيد من غير الخلفاء .

ونجد لهذا نماذج كثيرة في شعر الرثاء الأموي .

ثانياً : النقائض .

ظلل الصراع السياسي سماء العصر الأموي وتضاربت أهواء الأحزاب السياسية ، واتخذت من الشعر لسانا ودعاية ، فتوزع الشعراء على الأحزاب ، وتنافسوا في خدمتها ، والتعبير عن أغراضها ، مخلصين حينا ، أو طامعين أحيانا ، ولقد رأينا كيف أن شعراء بني أمية يتنافسون في اكتساب الحظوة عند حكامهم .

---

(١)الفرزدق ، **ديوان الفرزدق** ، ص ٥ .

ولقد تمتع شعراء هذا العصر بحرية مطلقة في التعبير عن العصبية القبلية ، التي أحيتها سياسة بني أمية إزاء القبائل ، فأذكت نارها لتتمكن من خلخلة النسيج الإجتماعي ، ليتسنى لبنـي أمية السيطرة على الناس .

وقد وفد الفرزدق وجرير على الحجاج بن يوسف الثقفي فجرت بينهما مناقضة شـعرية منهـا حيث قال الفرزدق[1]:

عجِبـتُ لِراعِـي الضـأن فِـي حطِيمـةٍ   وفِـي الـدِرع عبـد قـد أُصِـيبت مقَاتِلُـه

وهلْ تَلْـبس الحبلَـى السِـلاح وبطنهـا   إذَا انتَطَقَـتْ عِـب علَيهـا تُعادِلُـه

فأجابه جرير :

لِبستُ أَداتِـي والفِـرزدقُ لُعبـةٌ   علَيـهِ وِشَـاحا كُـرجٍ وجلاجِلُـه

أَعِدوا مع الحلي المـلاب فإنمـا   جريـر لكـم بعـلٌ وأنـتم حرائـره

وأعطوا كما أعطـت عـوان حليلهـا   أقـرت لبعـلِ بعـد بعـلِ تُراسِلُـه

أمن سفه الأحـلام جـاءوا بقردهـم   إلـي ومـا قِـرد لِقَـرمٍ يصاولُـه

وقد تركت من القصيدتين ما فيه إسفاف وسباب وتصريح أربأ عن إيراده حفاظـا على الذوق ، ولولا أنني أريد أن أستشهد بهذا النوع من الشعر الاجتماعي لما أوردته .

ثالثا : العتاب .

ألقت الظروف السياسية ظلالها على النواحي الاجتماعية فامتزجت الأغراض الشعرية ببعضها نتيجة لذلك ، فنجد أن بعض الموضوعات التي تصنف على أنها سياسية لا تخرج عـن مضمونها الاجتماعي حتى وإن تغلفت بالقالب السياسي ، ومـن تلـك الموضـوعات العتـاب

(١)الفرزدق ، **ديوان الفرزدق** ، ج٢، ص١٧٣.

والفخر. فإننا إذا ما درسنا هذين الغرضين فلا بد من دراستهما من الناحية الاجتماعية ، ولنا في ذلك مثال على كثير من الوفادات التي ألقي فيها الشعر .

وفادة خاف بن خليفة البكري على هشام بن عبد الملك :

فهذا خاف بن خليفة البكري يفد على هشام بن عبد الملك معاتبا له ومفتخرا بقبيلته، ذلك أنه لما صالح عاصم بن عبد الله الهلالي والي خراسان الحارث بن سريج التميمي المرجئـي ، وكتب بينه وبينه كتابا على أن ينزل الحارث أي كور خراسان شاء ، وأن يكتبا جميعـا لهشـام يسألانه كتاب الله وسنة نبيه فإن أبى اجتمعا جميعا عليه وأبى يحيى ابن حضين البكري أن يختم، وقال هذا خلع لأمير المؤمنين . قال البكري[1]:

أَبـــى هـــم قَلْبِــك إلــا اجتِماعـــا ... ويأبــى رقَــأدك إلــا امتِنَاعـــــــا
بِغَيــر ســماعٍ ولَـــم تَلْقَنِـــي ... أُحــاولُ مِــن ذَاتِ لَهـــــو سماعـــا
حفَظْنَـــا أُميـــةَ فِـــي ملكِهـــــا ... ونَخْطُــر مِــن دونِهــا أَن تُراعـــــا
نُــدافِع عنْهــا وعــن ملْكِهــــا ... إِذَا لَــم نَجِــد بِيــدِيها امتِنَاعـــــــا
أَبــى شــعب مــا بينَنَــا فِــي القَــدِيم ... وبــين أُميــةَ إلــا انْصِداعـــــــا
أَلَــم نَخْتَطِــف هامــةَ ابــن الزبيــر ... ونَنْتَــزع الملْــك مِنْــه انْتِزاعـــــا
جعلْنَـــا الخِلَافَـــةَ فِـــي أَهلِهـــــا ... إِذَا اضــطَرع النــاس فِيهــا اضــطِراعا
نَصــرنَا أُميــةَ بِالمشْرِفِـــــــي ... إِذِ انْخَلَـــع الملْـــك عنْهـــا انْخِلاعـــا
ومِنــا الــذِي شَــد أَهــلَ العِـــراق ... ولَــو غَــاب يحيــى عــن الثَغْــر ضــاعا
علَــى ابــن ســريجٍ نَقَضــنَا الأُمــور ... وقَــد كَــان أَحكَمهــا مــا استَطَاعـــا

---

(١)الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٧، ص١٠٢.

حكِـــيم مقَالَتُــــه حِكْمـــــــــــــةٌ ◆ إِذَا شَــتتَ القَــوم كَــان اجتِماعـــــــا

إلى أن يقول :

فَقُــل لِلُأميــةَ تَرعــى لَنَــــــــا ◆ أَيــادِي لَــم نُجزهــا واصطِنَاعــــا

أَتُلْهــين عــن قَتْــل سادالِتنَــــــا ◆ ونَــأبى لِحقــك إِلــا اتْباعــــــا

أَمــن لَــم يبعــك مِــن المشْــتَرين ◆ كَآخــــر صــادفَ ســوقاً فَباعــــا

ثم تراه يزداد في المعاتبة لبني أمية مشهرا قدرة قومه ومفتخرا حين يقول:

فَــأين الوفَــاء لِأَهــل الوفَــــــاءِ ◆ والشُــكْر أَحســن مِــن أن يضاعـــا

وأَيــن ادخَــار بنِــــــــي وائِــلِ ◆ إِذَا الــذخْر فِــي النــاسِ كَــان ارتِجاعــا

أَلَــم تَعلَمــي أَن أَسيافَنَــــــــا ◆ تُــداوي العِليــلَ وتَشْــفِي الصداعـــا

إِذَا ابــن حضــينٍ غَــدا بِاللـــــــوا ◆ ء أَســلَم أَهــلُ القِــلاعِ القِلاعـــا

إِذَا ابن حضــينٍ غَــدا بِاللــــــــواءِ ◆ أَثَــار النســور بِــهِ والضباعـــــا

إِذَا ابن حضــينٍ غَــدا بِاللـــــــــوا ◆ ء ذَكَــى وكَانَــتْ معــد جداعـــــا

وفادة الفرزدق على سليمان بن عبد الملك :

وفدة الفرزدق على سليمان بن عبد الملك و (نصيب) عنده، فقال سليمان: أنشد يـا أبـا فراس فأنشده :

وركْــبٍ كَــأَن الــريح تَطْلُــب مِــنْهم ◆ لَهــا ســلَباً مــن جــذْبِها بِالعصــائِبِ

ســروا يركبــون الــريح، وهــي تَلُفهــم ◆ إِلَــى شُــعبِ الأَكْــوارِ ذَاتُ الحقَائِــبِ

إِذَا استَوضَحوا نَاراً يقُولُون لَيتَها وقَد حضَرتْ أَيدِيهم نَار غَالِبِ

فهذه أبيات ليست فخراً في سليمان مما دعاه إلى الغضب فالتفت إلى نصيب وقال له: أنشد مولاك، فأنشد :

أَقُولُ لِركْبٍ صادِرين لَقِيتُهم قِفَا ذَاتَ أَوشَالٍ ومولاك قَارب

قِفُوا خَبرونِي عن سلَيمان إنِنِي لِمعروفِهِ مِن أَهل ودان طَالِب

فَعاجوا فَأَثْنَوا بِالذِي أَنْتَ أَهلُه ولَو سكَتُوا أَثْنَتْ علَيك الحقَائِب

فقال له سليمان : أحسنت . وأمر له بصلة.

فقد أنشد الفرزدق سليمان ما أشاع الغضب في نفسه مفتخراً في حضرة الخليفة وهذا ما دعى سليمان أن يطالب من نصيب تغيير ما قاله الفرزدق، وهذا موقف رأى جرير أنه موطن فخر له إن لم يفتخر الآن أمام الخليفة ونصيب فمتى يفخر ويتيه بما له من عز وجاه تليد. على أن الخليفة يريد أن يكون الفخر خالصاً له فكان على الفرزدق أن لا يغالي في الفخر أمام الخليفة، وأن يراعي هذا المقام وأن يقيم التكافؤ بين ما لا يهينه ولا يغضب ممدوحه[١].

وفادة عرابة الأوسي الأنصاري على معاوية بن أبي سفيان :

ومن الوفادة الاجتماعية التي لا بد من إيرادها كمثال على محاورة الخلفاء للوافدين ونظرهم في عقولهم وطرق سيادتهم لأقوامهم ما حدث عندما وفد عرابة الأوسي الأنصاري على معاوية بن أبي سفيان . فقال له بأي شيء سدتَ قومك يا عرابة ؟ فقال أخبرك يا أمير المؤمنين بأني كنت لهم كما كان حاتم لقومه . فقال معاوية : وكيف كان ؟ فأنشده :[٢]

---

(١)القالي أبوعلي ، **الأمالي** ، ج١، طبعة دار الكتب المصرية، ص ٤٠.

(٢)ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ) ، **عيون الأخبار** ، طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥ القاهرة ، ج ١ ، ص ٣٨ .

وَأصبحتُ فِي أمرِ العشِيرةِ كُلِّها   كَذِي الحِلْمِ يرضى ما يقُولُ ويعرِفُ

وذَاكَ لِأَني لا أُعادِي سراتَهم   ولا عن أَخِي ضرائِهم أَتَنَكَّفُ

وإنِي لَأُعطِي سائِلِي ولَربما   أُكلَّفُ ما لا أَستَطِيعُ فَأُكَلَّفُ

وإنِي لَمذْمومٌ إذَا قِيلَ حاتِمٌ   نَبا نَبوةً إن الكريمْ يعنفُ

فقال معاوية: لقد صدق الشماخ حيث يقول فيك (٢):

رأَيتُ عرابةَ الأوسِيَ يسمو   إلى الخَيراتِ منْقَطِعَ القَرِين

إذَا ما رايةٌ رفِعتْ لِمجدٍ   تلَقاها عرابةُ بِاليمِين

فهذه وفادة كان الأحرى بي إيرادها في الوفادة السياسية لأتبين من خلالها طريقة الخليفة في محاورة الوافد إذا أراد أن يعرف سبب سيادته لقومه إلا أني أرى أن أوردها في الوفادة الاجتماعية لأن الباعث لهما والمضمون الذي يشتمل عليها باعث اجتماعي وهو كيفية التعامل مع القوم أو العشيرة بصفة تتطلبها القدرة على سيادتهم وهي صفة الكرم.

ويقر معاوية لعرابة الأوسي بالسيادة ، فعرابة سيد قومه ولا بد للسيد أن يتحمل أعباء قومه الاجتماعية وواجبه تجاههم فيرعى شئونهم ولا يتخلى عنهم ، فيكون كريماً محتملاً في سبيل ذلك الكرم و اللوم الذي يجلبه عدم الإعطاء في وقت الضيق فالسيد يحتمل لوم قومه ويحاول دفعه عن نفسه بإكرامهم.

ومعاوية يعلم علم اليقين أن ما يسير عليه عرابة هو الطريق السديد للمجد والرفعة فيصيغ معاوية بذلك هذه الوفادة بمحاورة تحمل طابعاً خاصاً في محادثته ومحاورته للوافدين عليه.

---

(٢) القالي ، **الأمالي** ، ج١، ص ٢٧٤.

وفادة عامر الشعبي على عبد الملك بن مروان :

وهذه وفادة لعامر الشعبي عندما طلب عبد الملك بن مروان من الحجاج بن يوسف أن يرسل له رجلاً من أهل العراق يسامره ويكون له جليساً و في هذه الوفادة سنتبين كيف أن الوافد على بلاط الخلفاء والأمراء يجب أن يكون همه إدخال السرور والفرح على قلب من يفد عليهم فقد كتب عبد الملك بن مروان[1]، إلى الحجاج بن يوسف: أن ابعث إلي رجلاً يصلح للدين والدنيا، أتخذه سميراً وجليساً وخليلاً.

فقال الحجاج: ما له إلا عامر الشعبي. وبعث به إليه. فلما دخل عليه وجده قد كبا مهتماً، فقال: ما بال أمير المؤمنين؟

قال: ذكرت قول زهير:

كـأني، وقـد جـاوزتُ سـبعين حِجـةً   خَلَعـتُ بِهـا عنـي عِـذَار لِجامِـي
رمتْنِي بنَاتُ الدهر مِـن حيـثُ لا أَرى   فَكَيـفَ بِمـن يرمـى ولَـيس بِرامِـي؟
فَلَو أَننِي أُرمي بِنَبـلٍ رأَيتُهـا   ولَكِننِـي أُرمـي بِغَيـر سِـهامِ
علَى الراحتَين تَـارةً وعلَـى العصـا   أَنُـوء ثَلاثـاً، بعـدهن قِيامِـي

قال له الشعبي: ليس كذاك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيد بن ربيعة، وقد بلغ سبعين حجة:

كـأني وقـد جـاوزتُ سـبعِين حِجـةً   خَلَعـتُ بِهـا عـن منْكِبـي ردائِيـا

---

(١)ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١ ، ص ٢٧٤.

ولما بلغ سبعاً وسبعين سنة قال:

باتَــت تَشَــكى إِلَــي الــنفْس موهنَــةً	وقَــد حملْتُــكِ ســبعاً بعــد ســبعِينَا[1]
فَــإِن تُــزادِي ثَلاثَــاً تَبلُغِــي أمــلاً	وفِــي الــثَلاثِ وفَــاء للثَّمانِينَــا

ولما بلغ تسعين سنة قال:

ولَقَــد ســئِمتُ مِــن الحيــاةِ وطولِهــا	وســؤال هــذَا النــاسِ كيــفَ لَبِيــد؟

ولما بلغ عشراً ومائة قال:

أَلَــيس ورائِــي، إِن تَراخَــتْ منِيتِــي	لُــزوم العصــا تُحنَــى عليهــا الأَصــابِع
أُخَبــر أَخْبــار القُــرون التِــي خَلَــتْ	أَنــوء، كَــأَني كُلمــا قُمــتُ راكِــع

ولما بلغ ثلاثين ومائة وحضرته الوفاة قال:

تَمنــى ابنَتَــاي أَن يعِــيشَ أَبوهمــا	وهلْ أَنَا إِلا مِـن ربِيعـةَ، أَو مضــر
فَقُومــا، فَقُــولا بالــذي تَعلَمانِــهِ	ولا تَخْمِشَا وجهـاً، ولا تَحلِقَـا شَعــر
وقُولا: هـو المـرء الـذي لا صـدِيقَه	أَضاع، ولا خَـان الخَلِيـلَ ولا غَـدر
إِلى ســنَةٍ، ثُـم الســلام علَيكُمــا	ومن يبكِ حولاً كَامِـلاً فَقَـدِ اعتَـذَر

قال الشعبي: فلقد رأيت السرور في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها.

وفادة عدي بن الرقاع العاملي على الوليد بن عبد الملك :

ولأن التهنئة باب واسع من أبواب الوفادة الاجتماعية ، سيما وأن العرب يهنئون دائمـا بتولي أحدهم الملك أو الخلافة ، فإن القصائد التي ألقاها الشعراء على مسامع الخلفاء الذين تولوا

---

(١) موهنة: ضعيفة.

مقاليد الحكم وشؤون الخلافة كثير جدا ، وخير ما نستشهد به في هذا الغـرض مـن الوفـادة ، قصيدة لعدي بن الرقاع العاملي يهنئ فيها الوليد بن عبد الملك ويمجده[١]:

عـرف الـديار توهمـاً فاعتادهـا ... مـن بعـد مـا شـمل البلـى أبلادهـا
إلا رواسـي كلهـن قـد اصطلـى ... حمـراء أشـعل أهلهـا إيقادهـا
كانـت رواحـل للقـدور فعريـت ... مـنهن واسـتلب الزمـان رمادهـا

ثم نراه يسير في قصيدته على نسق القصيدة الجاهلية فيسترسل في مقدمته التـي يريـد النفاد من خلالها إلى الغرض الأساسي وهو التهنئة فيستخدم كلمات تدل على البهجة والسـرور وتدخلهما للنفس مثل واضحة الجبين وكذلك خريدة بيضاء ، و الظبية البكر، و السحاب . ثم نراه يصف الحياة ومشقتها وكيف أنه يحتمل الخطوب وما تقترفه الدنيا بحقه فتلقاه صلبا لا يلين فـي وجه نائبات الأيام ، حيث يقول :

بانـت سـعاد وأخلفـت ميعادهـا ... وتباعـدت منـا لتمنـع زادهـا
إنـي إذا مـا لـم تصـلني خُلتـي ... وتباعـدت عنـي اغتفـرت بعادهـا
وإذا القرينـة لـم تـزل فـي نجـدةٍ ... مـن ضغـنها سـئم القـرين قيادهـا
إمـا تـري شـيبا تفشـغ لِمتـي ... حتـى عـلا وضـح يلـوح سوادهـا

إلى أن يقول:

وإذا الربيـع تتابعـت أنـواؤه ... فسـقى خُنَاصِـره الأحـص فجادهـا
نـزل الوليـد بهـا فكـان لأهلهـا ... غيثـا أغـاث أنيسـها وبلادهـا
أولا تـرى أن البريـةَ كُلهـا ... ألقـت خزائمهـا إليـه فقادهـا
ولقـد أراد الله إذ ولاكهـا ... مـن أمـةٍ إصـلاحها ورشادهـا

---

(١)عطوان ، حسين(٢٠٠٥) **نصوص من الأدب الأموي** (ط ١) الأردن : دار المسيرة عمان ، ص ٨٨ .

إلى أن ينتهي من الأبيات التي يعظم فيها الخليفة وأن الله اختاره لرعاية شؤون النـاس كافة، وأنه بنزوله فيها كان لأهلها المغيث ولبلادها الأنيس الذي ألقت إليه كل الناس حزام القيادة فقادها إلى سبيل الإصلاح والشراد بعد أن تولى أمرها.

وفادة عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان :

ومن الوفادات التي لا بد من الوقوف عندها في هذا الفصل ، والتي تدل علـى تـدخل الأمويين في زواج سيدات عبد مناف ، من ولاة بني أمية وكيف أنهم كانوا يسـتكثرون علـيهم ذلك، وفادة عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان .

قال بديح [1]: وفد عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، وكـان زوج ابنتـه أم كلثوم من الحجاج على ألفي ألف في السر ، وخمسمائة ألف في العلانية ، وحملهـا إليـه إلـى العراق فمكثت عنده ثمانية أشهر . قال بديح : فلما خرج عبد الله بن جعفر إلى عبد الملك بـن مروان ، خرجنا معاً حتى دخلنا دمشق ، فإنا لنحط رحالنا إذ جاءنا الوليد بن عبد الملك علـى بغلة وردة ومعه الناس ، فقلنا : جاء إلى ابن جعفر ليحييه ويدعوه إلى منزله . فاسـتقبله ابـن جعفر بالترحيب ، فقال له : لكن أنت لا مرحبا بك ولا أهلا ! فقال : مهلا يا ابن أخـي فلسـت أهلا لهذه المقالة منك . قال : بلى ، ولشرٍ منها ، قال : وفيم ذلك ؟ قال : إنك عمدت إلى عقيلة نساء العرب ، وسيدة بني عبد مناف ، ففرشتها عبد ثقيف يتفخذها . قال : وفي هذا عتب علي يا ابن أخي ؟ قال : وما أكثر من هذا ؟ قال : والله إن أحق الناس أن لا يلومني فـي هـذا لأنـت وأبوك ؛ إن كان من قبلكم من الولاة ليصلون رحمي ، ويعرفون حقي ، وإنك وأباك منعتماني ما عندكما حتى ركبني من الدين ما والله لو أن عبداً مجدعاً حبشياً أعطاني بها ما أعطـاني عبـد

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١ ، صـ ٢٧٠.

ثقيف لووجتها ؛ فإنما فديت نفسي من النار . قال : فما راجعه كلمة حتى عطف عنانه ، ومضى حتى دخل على عبد الملك – وكان الوليد إذا غضب عرف ذلك في وجهه – فلما رآه عبد الملك قال : ما لك أبا العباس ؟ قال : إنك سلطت عبد ثقيف وملكته ورفعته حتى تفخـذ نسـاء عبـد مناف، وأدركته الغيرة . فكتب عبد الملك إلى الحجاج يعزم عليه ألا يضع كتابه من يـده حتـى يطلقها.. وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى هلك . قال بديح : فما كان يأتي علينا هلال إلا وعندنا عير مقبلة من الحجاج ، عليها أُلطَافٌ وكُسوة وميرة ، حتى لحق عبد الله بن جعفر بالله.

ثم استأذن ابن جعفر على عبد الملك ، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب ، ثـم أخذ بيده فأجلسه معه على سريره ، ثم سأله فألطف المسألة ، حتى سأله عن مطعمه ومشـربه . فلما انقضت مسألته ، قال له يحيى بن الحكم : أمن خِبثة كان وجهك أبا جعفر ؟ قال : وما خبثه ؟ قال : أرضك التي جئت منها . قال : سبحان الله ، رسول الله صلى الله عليه وسـلم يسـميها طيبة وتسميها خبثة ؟ لقد اختلفتما في الدنيا وأظنكما في الآخرة مختلفين .

فلما خرج من عنده هيأ له ابن جعفر هدايا وألطافا . فقلت لبديح : ما قيمة ذلك ؟ قـال : قيمته مائة ألف . من وصفاء ووصائف وكسوة وحرير وأُلطف من أُلطَف الحجاز . قال : فبعثني بها ، فدخلت عليه وليس عنده أحد . فجعلت أعرض عليه شيئا شيئا . قال : فلما رأيـت مثـل إعظامه لكل ما عرضت عليه من ذلك ، وجعل يقول كلما أريته شيئاً : عافى الله أبا جعفر ! مـا رأيت كاليوم ، وما نريد أن يتكلف لنا شيئا من هذا ، وإن كنا لمتـذممين محتشـمين . قـال : فخرجت من عنده وأذن لأصحابه .

فوالله لبين أنا عند ابن جعفر أحدثه عن تعجب عبد الملك وإعظامه لما أهدى إليـه ، إذ بفارس قد أقبل علينا ، فقال : أبا جعفر ، إن أمير المؤمنين يقرأ السلام عليك ، ويقـول لـك : جمعت له وخْش رقيق الحجاز وأُباقهم وحبست عنا فلانة ، فابعث بها إلينا – وذلك أنه حين دخل

عليه أصحابه جعل يحدثهم عن هدايا ابن جعفر ويعظمها عندهم ، فقال له يحيى بـن الحكـم : وماذا أهدى إليك ابن جعفر ؟ جمع لك وخش رقيق الحجاز وأُباقهم وحبس عنك فلانة . قـال : ويلك ، وما فلانة هذه ؟ قال : ما لم يسمع والله أحد بمثلها قط جمالا وكمالا وخُلقا وأدبـا ، لـو أراد كرامتك بعث بها إليك . قال : وأين تُراها. وأين تكون؟ قال : هي والله معه ، وهي نفسـه التي بين جنبيه . فلما قال الرسول ما قال ، وكان ابن جعفر في أذنه بعض الوقر ، إذا سمع مـا يكره تَصام ، فأقبل عليه فقال : ما يقول يا بديح ؟ قال : قلت : فإن أمير المؤمنين يقرأ السـلام ويقول : إنه جاءني بريد من ثغر كذا يقول : إن الله نصر المسلمين وأعزهم . قال : أقرأ أميـر المؤمنين السلام ، وقل له : أعز الله نصرك ، وكبت عدوك . فقال الرسول : يا أبا جعفر ، إني لست أقول هذا ، وأعاد مقالته الأولى . فسألني فصرفته إلى وجه آخر . فأقبل على الرسـول ، فقال : أبرسل أمير المؤمنين تَهكم ، وعن أمير المؤمنين تجيب هذا الجواب ؟ أمـا والله لأطُلـن دمك . فانصرف ، وأقبل علي ابن جعفر فقال : من تُرى صاحبنا ؟ قال : صـاحبك بـالأمس . قال : أظنه ! فما الرأي عندك ؟ قلت : يا أبا جعفر ، قد تكلفت له ما تطلفت ، فإن منعتها إيـاه جعلتها سببا لمنعك ، ولو طلب أمير المؤمنين إحدى بناتك ما كنت أرى أن تمنعها إياه . قـال : ادعها لي . فلما أقبلت . رحب بها ثم أجلسها إلى جنبه ، ثم قال : أما والله مـا كنـت أظـن أن يفرق بيني وبينك إلا الموت . قالت : وما ذاك ؟ قال : إنه حدث أمر ، وليس والله كائناً فيـه إلا ما أحببتِ ، جاء الدهر فيه بما جاء . قالت : وما هو ؟ قال: إن أمير المؤمنين بعث يطلبك . فإن تَهوي فذاك ، وإلا والله لم يكن أبداً . قالت : ما شيء لك فيه هوى ولا أظن فيه فرجاً عنـك إلا فديته بنفسي ، وأرسلت عينها بالبكاء . فقال لها : أما إذا فعلت فلا تَرين مكروهـا : فمسـحت عينيها ، وأشار إلي فقال : ويحك يا بديح استحثها قبل أن تتقدم إلي من القوم بادرة . قال : ودعا بأربع وصائف ودعا من صاحب نفقته بخمسمائة دينار ، ودعا مولاةً له كانـت تلـي طيبـه ،

فَدحست لها ربعة عظيمة مملوءة طيبا ، ثم قال : عجلها ويلك . فخرجت أسوقها حتى أتيت إلى الباب ؛ وإذا الفارس قد بلغ عني ، فما تركني الحجاب أن تمس رجلاي الأرض حتى أدخلت على عبد الملك وهو يتلظى ، فقال لي : أنت المجيب عن أمير المؤمنين والمتَهكم برسله ؟ قلت: يا أمير المؤمنين إيذن لي أتكلم . قال : وما تقول يا كذا وكذا ؟ قلت : إيذن لي جعلني الله فداك أتكلم . قال : تكلم . قلت : يا أمير المؤمنين ، أنا أصغر شأنا ، وأقل خطرا من أن يبلغ كلامي من أمير المؤمنين ما أرى ، وهل أنا إلا عبد من عبيد أمير المؤمنين ، نعم ، قد قلت ما بلغك ، وقد يعلم أمير المؤمنين أن إنما نعيش في كنف هذا الشيخ ، وأن الله لم يزل إليه محسنا ، فجاءه من قبلك شيء ما أتاه قط مثله ، إنما طلبت نفسه التي بين جنبيه، فأجبت بما بلغك لأسهل الأمر عليه ؛ ثم سألني فأخبرته واستشارني فأشرت عليه ، وها هي ذي قد جئتك بها . قال : أدخلها ويلك ! قال : فأدخلتها عليه وعنده مسلمة ابنه ، غلام ما رأيت مثله ولا أجمل منه حين اخضر شاربه . فلما جلست وكلمها أعجب بكلامها ، فقال : لله أبوكِ ، أمسكك لنفسي أم أهبك لهذا الغلام ، فإنه ابن أمير المؤمنين ، قالت : يا أمير المؤمنين لست لك بحقيقة ، وعسى أن يكون هذا الغلام لي وجها . قال : فقام من مكانه ما راجعها ، فدخل ، وأقبل عليها مسلمة فقال : يا لكاع ، أعلى أمير المؤمنين تختارين ؟ قالت : يا عدو نفسه إنما تلومني أن اخترتك ! لعمر الله لقد فال رأي من اختارتك . قال : فضيقت والله مجلسه . واطلع علينا عبد الملك قد ادهن بدهنٍ وارى الشيب ، وعليه حلة تتلألأ كأنها الذهب ، بيده مِخصرةٌ يخطِر بها ، فجلس مجلسه على سريره ، ثم قال : إيها ، لله أبوك ، أمسكك لنفسي أحب لك أم أهبك لهذا الغلام ؟ قالت ومن أنت أصلحك الله ؟ قيل لها : هذا أمير المؤمنين! قالت : لست مختارة على أمير المؤمنين أحدا . قال: فأين قولك آنفا ؟ قالت : رأيت شيخا كبيرا، وأرى أمير المؤمنين أشب الناس وأجملهم ، ولست مختارة عليه أحدا . قال : دونكها يا مسلمة . قال بديح : فنشرتُ عليه الكُسوة والدنانير التي

معي ، وأريته الجواري والطيب . قال : عافى الله ابن جعفر ! أخشي أن لا يكون لها عندنا نفقة وطيب وكسوة ؟ فقلت : بلى ، ولكنه أحب أن يكون معها ما تكتفي به حتى تستأنس . قال : فقبضها مسلمة ، فلم تلبث عنده إلا يسيرا حتى هلكت . قال بديح : فوالله الذي ذهب بنفس مسلمة، ما جلست معه مجلسا ولا وقفت موقفا أنازعه فيه الحديث ، إلا قال : ابغِني مثل فلانه . فأقول : ابغني مثل ابن جعفر .

قال : فقلت لبديح : ويلك ! فما أجازه به ؟ قال : قال حين دفع إليه حاجته ودينه : لأجيزنك جائزة لو نشر لي مروان من قبره ما زدته عليها . فأمر له بمائة ألف . وأيم الله إني لا أحسبه أنفق في هديته ومسيره ذلك وجاريته التي كانت عدل نفسه مائتي ألف .

وفادة أروى بنت عبد المطلب على معاوية[١] :

وفدت أروى بنت عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها معاوية قال : مرحبا بك وأهلا يا عمة ، فكيف كنت بعدنا ؟

قالت : يا بن أخي ، لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، من غير دين كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتعس الله منكم الجدود ، وأضرع منكم الخدود ، ورد الحق إلى أهله ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا صلى الله عليه وسلم هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب رحمه الله بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ، فغايتنا الجنة وغايتكم النار .

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص٣٠٣ .

فقال لها عمرو بن العاص : كفي أيتها العجوز الضالة ، وأقصري عن قولك مع ذهـاب عقلك ، إذ لا تجوز شهادتك وحدك .

فقالت له قولا بذيئا - أورده صاحب العقد – ثم التفتت إلى معاوية وقالت : والله ما جرأ علي هؤلاء غيرك ، وإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نَحـن جزينَـاكُم بِيـومِ بـدر فَشُـكْر وحشِـي علَـي دهـري

والحـرب بعـد الحـربِ ذَاتُ سعـيْر مـا كـان لِـي عـن عتْبـةٍ مِـن صـبر

حتـى تَـرم أَعظُمِـي فِـي قَبـري

فأجابتها بنت عمي وهي تقول :

خَزيتِ فِـي بدرٍ وبعد بـدر يا بنَةَ جبـارٍ عظِيم الكُفْـر

فقال معاوية : عفا الله عما سلف يا عمة ! هات حاجتك .

قالت : ما لي إليك حاجة ، وخرجت عنه .

ونرى في هذه الوفادة كيف أن السؤال عن الناحية الاجتماعية قد تعمق كثير، حتـى إن صلة القربى كان لها الدور الأبرز في الظهور ، والحديث عن المثالب كان جليـا واضـحا دون خوف أو وجل من الخليفة ، بل إن الوافدة قد ذكرت معايب اجتماعية كثير لمن حاولوا مهاجمتها بالحديث أمام الخليفة . كما الحديث عن القربى وحق الأقارب في الحكم وأنهم أولى من معاويـة بهذا الأمر قد برز بروزا مجليا ، وما رفض الوافدة للصلة التي سيمنحها إليها الخليفة ، إلا لأنها تتمسك بحق القربى في الحكم الذي اغتصب منهم اغتصابا ، وذهب إلى غير أهله .

الفصل الثالث

أدب الوفادة الاقتصادية

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عصر بني أمية اتساعا واسعا فازدادت الثروة وتعددت مصادرها ، وكثرت أوجه الصرف ، فاحتاج الأمر إلى تعيين الولاة والعمال والسعاة لضبط حركة المال القادم لبيت المال والخارج منه .

ولأن بني أمية يسعون لتثبيت دعائم حكمهم في سائر أرجاء الدولة فقد استغلوا الناحية الاقتصادية أيما استغلال فأغدقوا الأموال على من يؤيدهم بشكل عام وعلى ولاتهم بشكل خاص . ويضيقون على من يعاندهم أو يناصبهم العداء بشتى أشكال التضييق كقطع الأعطيات وفرض الضرائب والتعنت في جباية الصدقات والخراج وإن كانت هذه السياسة قد ظهرت على استحياء في زمن معاوية إلا أنها كانت تطال أحيانا حتى الموالين لبني أمية . ومن أمثلة ذلك شكوى النابغة الجعدي لمعاوية عندما قام مروان بن الحكم بمصادرة أمواله بسبب ما عرف عنه من أنه علوي الهوى . فيقول النابغة في ذلك :

فَمن راكِب يأتِي ابن هِنْدٍ بحاجتِي ... ومروان والأنْباء تَنْمي وتُجلَب

ويخْبِر عني ما أَقُولُ ابن عامِرٍ ... فنِعم الفَتَى يأوي إليهِ المعصب

فإن تأخُذُوا مالِي وأهلِي بظنةٍ ... فإني لحراب الرجال محرب

صبور على ما يكْره المرء كُلهِ ... سِوى الظُلْمِ إني إن ظُلِمتُ سأغْضب

أُصِيب ابن عفان الإمام فلَم يكُن ... لِذي حسبٍ بعد ابن عفان مغْضب[1]

---

(١)الجمحي ، أبو عبد الله محمد بن سلام (١٥٠ – ٢٣٢ هـ) **طبقات فحول الشعراء ،** شرح محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة ، ص ١٣٠.

فهذه الأبيات توضح مدى المعاناة من تلك السياسة الأموية في هذا الشأن ويتجلى ذلـك بلفظ ابن هند ويعني معاوية وهذه لها ما لها من نيل الشاعر لكرامة معاوية .

وما احتجاج عقبة بن هبيرة على ظلم عام شمل الأمة في أبيات أوردتها في التمهيـد إلا خير شاهد على تلك السياسة وبداية ظهورها والتي قابلها معاوية بحكمته المعهودة حيث عفا عنه وأمر مروان بن الحكم برد أموله إليه وقضى حوائجه في حوار طويل أورده صاحب الخزانـة ومنه أن معاوية سأله ((ما جرأك علي ؟ قال : نصحتك إذ غشوك ، وصدقتك إذ كذبوك)) (١) .

وجاء في لطف التدبير أن أحد بني أمية علل سبب سقوط دولة بني أمية بقوله : ((إنـا قد شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، ووثقنا بوزرائنا ، فأثروا مرافقهم على منافعنـا ، وظلمت رعيتنا ففسدت نياتهم ، ويئسوا من أرضنا ... وخربت معايشهم فخربت بيوت أموالنا)) (٢)

فالولاية كانت قد ارتبطت بالسرقة والجور كما يقول أنس بن أُناس زمن زياد بن أبيـه عندما خاطب حارثة بن بدر والي سرق من أعمال الأهواز :

أَحارِ بن بدرٍ قَد وليتَ ولايـةً ... فَكُن جرذاً فِيها تَخُـون وتَسـرقُ

وبـاهِ تَميمـاً بِـالغِنَى إن لِلغِنَـى ... لِساناً بِهِ المـرء الهيوبـةُ ينْطِـقُ

ولا تَحقِرن يـا حـار شَـيئاً ملَكْتَـه ... فَحظك مِن ملْـك العِـراقين سـرقُ

---

(١)ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر الأزراري ، (٧٦٧ – ٨٣٢ هـ)، **خزانـة الأدب وغايـة الأرب ،** تحقيق كوكب دياب ، دار صادر بيروت ٢٠٠١ ، ص ٣٤٣

(٢) **لطف التدبير** ، ص ١٢ .

فَإن جميـ ـ ـع النـاسِ إمـا مكـذب   يقُولُ بِما يهـوى وإمـا مصـ ـ ـ ـ ـدقُ

يقُولــون أَقْــوالاً ولا يعرِفُونَهـ ـ ـا   ولَو قِيلَ هاتُوا حققُـوا لَـم يحققُـ ـوا[١]

الشكوى من العمال وظلم السعاة

ومن النصوص التي لا بد من إيرادها أبيات لكعب الأشقري[٢]؛ يشـكو فيهـا العمـال الخائنين لعمر بن عبد العزيز الذي حاول إصلاح الوضع الاقتصادي بعدة وسائل منها ؛ تخفيف الضرائب وإسقاط الجزية والاقتصاد في النفقات وتنبيه العمال بضرورة العدل والبعد عن الظلم . بإعلانه المشهور : إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم داعيا ولم يبعثه خاتنا [٣].

يقول كعب :

إن كنـ ـــت تحفـ ــظ مـ ــا يليـ ــك   عمـــال أرضــك بـــالبلاد ذئـ ـ ـ ـاب

فإنما لـن يسـتجيبوا للـذي تـدعو ئـه   حتـ ــى تجلـ ــد بالسـ ــيوف الرقـ ــاب

بـــأكف منصـــلتين أهـــل بصـــائر   فـــي وقعهـــن مزاجـــر وعقـ ـ ـ ـاب

هلـ ـا قـ ـريش ذُكـ ـرت بثغورهـ ـا   حـــزم وأحـــلام هنـــاك رغـ ـ ـ ـ ـاب

لـــولا قـــريش نصـــرها ودفاعهـــا   ألفيـــت منقطعـــا بـــي الأسبـ ـ ـ ـ ـاب

الشاعر هنا يحمل العمال المسؤولية عن سوء الأحوال الاقتصادية على العكس من عقيبة بن هبيرة الذي يحمل معاوية نفسه سوء الأوضاع .

ومما يؤكد هذه الصورة أبيات قالها أبو اليقظان مخاطبا بها عمر بن عبد العزيز[٤]:

---

(١) الجاحظ ، **كتاب الحيوان** ، ج ٣، ص ١١١ .

(٢) هو كعب بن معدان الاشقري وكنيته ابو مالك شاعر وخطيب فارس ت ٨٠ هـ

(٣)الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ص٦،ص٥٥٩ .

(٤)الجاحظ ، **البيان والتبيين**، ج١،ص٤٠ .

إن الـذين بعثـت فـي أقطـارها ... نبـذوا كتابـك واسـتُحل المحـرم
طلْس الثيـاب علـى منـابر أرضـنا ... كُـل يجـور وكلـهم يـتظلم
وأردت أن يلـي الأمانـة منهـم ... عـدل وهيهـات الأمـين المسـلم

فالشاعر هنا يصور يأسه من إصلاح أولئك العمال .وأن عمر بن عبد العزيز لن يتمكن منهم لأنهم شر انتشر .

وفادة عبد الله بن همام السلولي على ابن الزبير:

ولم تقتصر هذه السياسة على بني أمية وعمالهم فحسب بل إن عبد الله بن الزبير وقع في هذه المغبة؛ فهذا عبد الله بن همام السلولي يشكو فيها من عمال ابن الزبير ويخص والي الكوفـة وركز فيها على متاجرة العمال بأقوات الناس وتوزيع مال الخراج توزيعا غير عـادل . فتـراه يقول من قصيدة طويلة[١]:

يا ابن الزبير أميـر المؤمنين ألـم ... يبلغك مـا فعـل العمـال بالعمـل
باعوا التجار طعام الأرض واقتسـموا ... صلب الخـراج شـحاحا قسـمة النفـل
وقدمـوا لك شيخا كاذبـا خـزلا ... مهمـا يقل لـك شـيخ كـاذب يقـل
وفيك طـالب حـق ذو مرانيـةٍ ... جلْد القـوى لـيس بـالواني ولا الوكـل

ثم تراه يسترسل في ذكر أسماء أولئك العمال وما صنع كل في عمله مشهرا بهم :

اشدد يديـك بزيد إن ظفرت بـه ... واشف الأرامـل مـن دحروجـة الجعـل
إنا منينا بضـبٍ من بنـي خلفٍ ... يرى الخيانـة شـرب المـاء بالعسـل

---

(١)صالح مخيمر ، **شعر الاحتجاج الاقتصادي في العصر الاموي** ، صـ٤٦ .

خذ العصيفر فانتف ريش ناهضـــــه حتـى ينـوء بشــرٍ بعـد مقتبـــــل
وما أمانـــــــــة عتاب بسالمــةٍ لا غمز فيهـا ولكــن جمـة السبـــل
وقيس كندة قد طالت إمارتُــــــــــه بســرة الأرض بــين الســهل والجبــل

"إن أغلب تلك النصوص الشعرية مقطوعات أو أبيات معدودة باستثناء بعض القصـائد كقصيدة عبد الله بن همام السلولي وقصيدة الراعي النميري وقصيدة عمرو بن أحمر . ومرد هذه الظاهرة إلى أن الشاعر كان يلجأ إلى التعبير ببساطة عما يحس به دون اللجوء إلى التعبيـر أو الإطالة أو التفصيل وعبروا عن الموضوع تعبيرا مباشرا صريحا معززين ما يرمون إليه بأمثلة واقعية تناسب الحالة التي يعيشونها ؛ فالخيانة والسرقة والنفاق والكذب والظلم والثراء الســريع الفاحش صور تكررت عند أولئك الشعراء .وكثر تشبيه العمــال بحيوانــات كالــذئب والجــرذ والضب وهي تشبيهات معبرة دالة. ولم يكتف الشعراء بالشكوى فحسب بل بل اقترحوا الســبل التي من شأنها أن تؤدي إلى ردع أولئك العمال .

وإذا ما استثنينا الشعراء المعارضين والناقدين للفساد فإن الأموال كثــرت فــي أيــدي الشعراء العرب في العصر الأموي ، وكثرت منح الخلفاء والأمراء والولاة لهم ، وعاش الشاعر الأموي بذلك في ترف كبير ، وكانت الحياة الاقتصادية في عصرهم تكاد تبلغ ذروتهــا رخــاء ورفاهية وسعة في التجارة والزراعة والصناعة حتى لم يجد الخليفة عمر بن عبد العزيــز مــن يأخذ الزكاة ، ولا عجب أن يعيش الشعراء كما عاش الناس في عصرهم يتمتعون بفراغ وثــراء وجاه ، كان من أثره أن أثرى الشعر ، وتمتع الشاعر بالخيرات الكثيرة في وطنــه ، وبســماع

الغناء ، واقتناء الجواري ، وحسن المظهر ، وكان لذلك أثره في حياة الشعر والشعراء في هـذا العصر)[1].

وقد استغل بعض الخلفاء الأمويون الجانب الإقتصادي من خـلال الوفـود التـي تـؤم حاضرة ملكهم دمشق ، في تحقيق سياستهم فكانوا يهبون العطاء الأجزل لمن يناهضـهم ولهـذا شواهد في التاريخ الأموي منها ما وصل إلى التفريق حتى بين المتصاحبين ومن ذلك :

وفادة الأحنف بن قيس على معاوية :

وفد الأحنف بن قيس وبشر (الحتات) بن يزيد الأشجعي على معاوية ، فأعطى الأحنف أربعين ألفا والحتات عشرة آلاف ، وكان الأحنف علويا والحتات عثمانيا ، فلما صارا بالغوطـة متوجهين إلى العراق سأل الحتات زميله عن مقدار صلته ، فأخبره فعاد إلى معاوية ، وعاتبـه ، فأمر له بثلاثين ألفا تمام الأربعين ، لكنه مات بدمشق قبل أن يبرحها ، فرد معاوية المـال إلـى بيت المال ، فأرسل الفرزدق هذه الأبيات إلى معاوية[2]:

أبوك وعمـي يا معاوي أورثـــا ... تراثـــا فيحتاز التراثَ أقاربـه

فمـــا بال ميراث الحتات أخذتـه ... وميراث حرب جامد لك ذائبـــه

فلو كان هذا الأمر في جاهليـــة ... علمتَ من المرء القليـــل جلائبه

ولو كان هذا الأمر في غير ملككم ... لأبديته أو غص بالماء شاربـــه

وكم من أب لي يا معاوي لم يكـن ... أبوك الذي من عبد شمس يقاربـه

فبعث معاوية إلى أهل الحتات بالأربعين ألفا .

---

(1)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ٨٥ .

(٢) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري،(٥٥٥ – ٦٣٠هـ)،**الكامل فـي التـاريخ** ، دار صادر ١٩٦٦ بيروت ، ج٢ ، ص ٢٢٣ .

ومما يدل على تلك السياسة الأموية في الاقتصاد واستغلال حاجات الناس ما قاله عبد الله بن الزبير الأسدي يعاتب معاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم وأهل بيته[1]:

عطاؤكم للضاربين رقابكم ... وندعى إذا ما كان حز الكراكر

أنحن أخوكم في المضيق وسهمنا ... إذا ما قسمتم في الخطاء الأصاغر

وتديكم الأدنى إذا ما سألتم ... ونلقى بتدي حين نسأل باسر

وإن كان فينا الذنب في الناس مثله ... أخذنا به من قبل ناه وآمر

وإن جاءكم منا غريب بأرضكم ... لويتم له يوماً جنوب المناخر

فهل تفعل الأعداء إلا كفعلكم ... هوان السراة وابتغاء العواثر

وغير نفسي عنكم ما فعلتم ... وذكر هوان منكم متظاهر

جفاؤكم من عالج الحرب عنكم ... وأعداؤكم من بين جابٍ وعاشر

فلا تسألوني عن هواي وودكم ... وقل في فؤاد قد توجه ناقر

ومن ذلك أيضا ما قاله جواس بن القعطل الكلبي يعاتب عبد الملك بن مروان[2] :

أعبد المليك ما شكرت بلاءنا ... فكل في رخاء الأمن ما أنت آكل

بجابية الجولان لولا ابن بحدل ... هلكت ولم ينطق لقومك قائل

فلما علوت الشأم في ظل باذخ ... من العز لا يسطيعه المتناول

نفحت لنا سجل العداوة معرضاً ... كأنك مما يحدث الدهر جاهل

وكنت إذا أشرفت في رأس رامة ... تضاءلت إن الخائف المتضائل

١- الشريف المرتضى ، أبو القاسم على بن الحسين بن موسى (٣٥٥-٤٣٦هـ) ، **أمالي السيد المرتضى** ، تحقيق محمد نور الدين وأحمد بن الأمين ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٧ ، ج ١ ، ٣٨٦ .

(٢)المرزوقي **، شرح ديوان الحماسة** ،ج٣، ص١٤٩٥ .

فَلَو طَاوعونِي يوم بطْنَان أُسلِمـتْ ... لِقَيسٍ فُروج مِنكُـم ومقَاتِـلُ

وفادة درواس بن حبيب على هشام بن عبد الملك :

وقد قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، فقدمت وفود العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درواس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاما ووقعت عين هشام على درواس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلي إلا وصل حتى الصبيان ؟!

فعلم درواس أنه يريده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دخولي لم يخل بك شيئا ولقد شرفني ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره ، فقال هشام : فانشر لا أبا لك ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، سنة أذابت الشحم ، وسنة أكلت اللحم ، و سنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول أموال : إن كانت لله ففرقوها على عباده المستحقين لها ، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجزي المتصدقين ، ولا يضيع أجر المحسنين ، واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة للجسد إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذرا . وأمر أن يقسم في باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمثلها . فقال يا أمير المؤمنين أرددها إلى أعطية أهل باديتي ، فإني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن كفايتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك؟ قال : مالي من حاجة دون عامة المسلمين!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف . فقال هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف عن سائر الصنائع[١] .

وفادة رجل من ضبة على عبد الملك :

ودخل رجل من بني ضبة على عبد الملك بن مروان وافدا فقال :

والله ما ندري إذا ما فاتنـــا   طلب إليك من الذي نتطلـــب ؟

فلقد ضربنا في البلاد فلم نجد   أحداً سواك إلى المكارم ينسب

فاصبر لعادتنا التي عودتنـــا   أولا فأرشدنا إلى من نذهـــب

فقال عبد الملك : إلي ! إلي ! وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه في العام المقبل فقال :

يرب الذي يأتي من الخير إنه   إذا فعل المعروف زاد وتمما

وليس كبانٍ حيـــن تم بنـــاؤه   تتبعه بالنقض حتـــى تهدما

فأعطاه ألفي دينار ، ثم أتاه في العام الثالث فقال :

إذا استمطروا كانوا مغازير في الندى   يجودون بالمعروف عوداً على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار[٢].

وهذه وفادة تدل على أن خلفاء بني أمية إنما كانوا يغدقون الأموال على من يفد عليـهم طالبا للحاجة مادحا لهم ، حتى وإن قل عدد تلك الأبيات أو إن كانت من شاعر لم تبلغ شـهرته

---

(١) لباب الآداب ، صـ٣٥٣ .

(٢) المصدر السابق ، صـ٣٣ .

الآفاق ، فإنهم إنما يشترون الرجال ومواقفهم بإغداق الهبات والصلات عليهم، خاصةً إن طربوا للمدح والثناء الذي يلقيه الوافد إلى بلاطهم .

وفادة سودة بنت عمارة على معاوية:

قال عامر الشعبي [٢]: وفدت سودة بنت عمارة بن الأشتر الهمدانية على معاوية بن أبي سفيان فاستأذنت عليه فأذن لها ، فلما دخلت عليه سلمت ، فقال لها : كيف أنت يا ابنة الأشـتر ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ، قال لها : أنت القائلة لأخيك :

شَمر لِفعل أَخِيك يا ابن عِمارةٍ   يـوم الطعـان وملْتَقَى الأقْـــران
وانْصر عِلِياً والحسين ورهطَه   واقْصِــد لِهنْدٍ وابنِهــا بِهــوان
إن الإمام أَخَا النبي محمـــدٍ   علَم الهـدى ومنَارةُ الإيمـــان
فَقُدِ الجيوشَ وسِر أَمــام لِوائِهِ   قُدمـاً بِأَبيض صارِمٍ وسِنَـــان

قالت : يا أمير المؤمنين مات الرأس وبتر الذنب ، فدع عنك تذكار ما قد نسي . قـال : هيهات ، ليس مثل مقام أخيك نسي . قالت صدقت والله يا أمير المؤمنين ما كـان أخـي خفـي المقام ذليل المكان ، ولكن كما قالت الخنساء :

وإن صخْراً لَتَأْتَم الهداةُ بِــــهِ   كأنه علَم فِي رأْسِهِ نَـــــــار

وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما استعفيته ، قال : قد فعلت ، فقولي حاجتـك . قالت :

يا أمير المؤمنين إنك للناس سيد ولأمورهم مقلد . والله سائلك عما افترض عليـك مـن حقنا ، ولا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويبسط بسلطانك ، فيحصدنا حصاد السنبل ويدوسنا

---

(٢) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج ١، ص ٢٩١ .

دياس البقر ويسومنا الخسيسة ويسألنا الجليلة ، وهذا ابن أرطأة قدم بلادي وقتل رجـالي وأخـذ مالي ، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة ، فقال معاوية : أإياي تهددين بقومك ؟ والله هممت أن أردك إليه على قتب أشرس فينفذ حكمه فيك . فسكتت ثم قالت :

صلى الإله على روحٍ تَضمنَه قبر فَأصبح فيه العدلُ مدفُونَا

قَد حالَفَ الحق لا يبغِي بِهِ ثَمنَاً فَصار بِالحق والإِيمان مقْرونَا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله ، قال : ما أرى عليك له أثرا ، قالت : بلى ، أتيته يوما في رجل ولاه صدقتنا فكان بيننا وبينه الغث والسمين . فوجدتـه قائمـا يصلي فانفتل عن الصلاة ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة ؟ فأخبرته خبر الرجل ، فبكـى ثـم رفع يديه إلى السماء فقال : اللهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا ترك حقك . ثم أخرج من جيبـه قطعة من جراب فكتب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . { قَد جآءتْكُم بينَةٌ من ربكُم فَأوفُواْ الكَيلَ والمِيزان ولا تَبخَسـواْ الناس أَشْيآءهم ولَا تُفْسِدوا فِي الأَرضِ بعد إِصلَاحِها ذَلِكُم خَير لَكُم إِن كُنْتُم مؤْمِنِين}[1]، وما أنـا عليكم بحفيظ . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك حتى يأتي من يقبضه منـك والسـلام . فعزله يا أمير المؤمنين ما خزمه بخزام ولا ختمه بختام . فقال معاوية: اكتبوا بالإنصـاف لهـا والعدل عليها ، فقالت : ألي خاصة أم لقومي عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ؟ قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ، إن كان عدلا شاملا ، وإلا يسعني ما يسع قومي . قال هيهات ، لمظكم ابن أبي طالب الجرأة وغركم قوله :

فَلَو كُنتُ بوابا على بابِ جنـ ـ ـ ـةٍ لَقُلْتُ لِهمدان ادخُلُوا بِسـ ـ ـ ـ ـلامِ

وقوله :

([1]) سورة **الأعراف**، الآية ٨٥.

نَاديتُ همدان والأبواب مغْلَقَـــةٌ   ومِثْلُ همدان سنى فَتْحةَ البـــابِ

كالهنْدوانِي لَم تُفْلَلْ مضاربــــه   وجه جمِيلٌ وقَلْب غَير وجـــابِ

اكتبوا لها بحاجاتها .

ونلحظ في هذه الوفادة دور النساء في الحياة السياسية آنذاك فيأتين وافدات علـى بـلاط بني أمية رغم مواقفهن السلبية من السلطة ومن النظام الحاكم حزب بني أمية ، وكيف أن لهـن دوراً في مجريات الأحداث ، وأنهن لا يأتين خاضعات بسبب الحاجة ، بل يجـادلن بكـل أنفـة الحرة العربية ويروين الشعر،ويتمتعن بسياسة وحنكة لا يشوبها غضب أو يستفزها أحد نتيجـة المحاورة، بل ترد بكل صبر ورباطة جأش ، لتحصل على مبتغاها، غير متعتعة حول ماضـيها السياسي أو متنكرة له .

وفادة دارمة الحجونية على معاوية: (١)

حج معاوية فسأل عن امرأة من بني كنانة كانت تنزل بالحجون ، يقال لها دارمة الحجونية ؛ وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ؛ فبعث إليها فجيء بها ؛ فقـال : مـا حالك يابنة حام ؟ قالت : لست لحام إن عبتني ؛ أنا امرأة من بني كنانة . قال : صدقت . أتدرين لم بعثت إليك ؟ قالت : لا يعلم الغيب إلا الله . قال : بعثت إليك لأسألك : عـلام أحببـت عليـا وأبغضتني ، وواليته وعاديتني ؟ قالت : أوتعفيني . قال : لا أعفيك . قالت : أما إذا أبيت ، فإني أحببت عليا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولـى منـك بالأمر ، وطلبتك ما ليس لك بحق . وواليت عليا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ج ١ ، ص٢٩٩ .

من الولاء ، وحبه المساكين . وإعظامه لأهل الدين . وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك في القضاء ، وحكمك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ، وعظم ثدياك ، وربت عجيزتك . قالت : يا هذا ، ، بهنـد والله كـان يضرب المثل في ذلك لا بي . قال معاوية : يا هذه اربعي ، فإنا لم نقل إلا خيرا ؛ إنه اذا انتفخ بطن المرأة تم خلق ولدها ، وإذا عظم ثدياها تروى رضـيعها ، وإذا عظمـت عجيزتهـا رزن مجلسها . فرجعت وسكنت . قال لها : يا هذه ، هل رأيت عليا ؟ قالت : إي والله . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه الملك الذي فتنك ، ولم تشغله النعمة التي شغلتك . قال : فهل سمعت كلامه ؟ قالت : نعم والله ، فكان يجلو القلوب من العمى كما يجلو الزيت صدأ الطست . قال : صدقتِ ! فهل لك من حاجة ؟ قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء فيها فحلها وراعيها . قال: تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، وأكتسب بها المكـارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك أحل عندك محل علي بن أبي طالب ؟ قالت : ماء ولا كصداء ، ومرعى ولا كالسعدان ، وفتى ولا كمالك ، يا سبحان الله ، أو دونه ؟ فأنشـأ معاوية يقول :

إِذَا لَمْ أَعُدْ بِالحِلْمِ مِنِّي عليكُـــــم   فَمَن ذَا الذي بعدِي يؤَمــلُ لِلحِلْـمِ

خُذِيها هنِيئاً واذْكُري فِعلَ ماجِــــدٍ   جزاكِ على حربِ العداوةِ بِالسلْــمِ

ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أعطاك منها شيئا.

قالت : لا والله ، ولا وبرة واحدة من مال المسلمين .

وإننا في هذه الوفادة لنرى حب الخليفة إصراره على معرفة سبب بغض أعداءه له من خـلال محاورتهم ، ومعرفة مزايا خصمه ، ثم إننا لنرى كيف أن هذه الوافدة كانت جريئـة فـي

محاورة معاوية ، معلنة عدم تنازلها عن مواقفها السياسية ، كما أنها طلبت المال لا لتأخذه لنفسها وإنما لتعين به الناس على حوائجهم وذلك في قولها عندما سألها معاوية عن طلبها الإبل فقالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأستحي بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . وهذه من المكارم عند العرب .

وفادة مصعب بن الزبير ومعه وجوه أهل العراق :

لما قتل مصعب بن الزبير المختار بن أبي عبيد خرج حاجاً، فوفد على أخيه عبد الله بن الزبير بمكة، ومعه وجوه أهل العراق فقال له: يا أمير المؤمنين، جئتك بوجوه أهل العراق لم أدع لهم بها نظيراً، لتعطيهم من هذا المال.

قال [١]: جئتني بأهل العراق لأعطيهم مال الله! والله لا فعلت، فلما دخلوا عليه وأخذوا مجالسهم، قال لهم: يا أهل الكوفة، وددت والله أن لي بكم من أهل الشام صرف الدينار والدرهم، بل لكل عشرة رجلاً.

قال عبيد الله بن ظبيان: أتدري يا أمير المؤمنين ما مثلنا ومثلك فيما ذكرت ؟ قال: وما ذاك؟ قال: فإن مثلنا ومثلك ومثل أهل الشام، كما قال أعشى بكر بن وائل:

علقْتُها عرضاً وعلقَتْ رجلاً غَيري، وعلقَ أُخْرى غَيرها الرجل

أحببناك نحن، وأحببت أنت أهل الشام، وأحب أهل الشام عبد الملك، ثم انصرف القوم من عنده خائبين فكاتبوا عبد الملك بن مروان وخرجوا على مصعب بن الزبير[٢].

ونرى في هذه الوفادة تهاون الزبير في كسب ود الرجال والمحافظة عليهم باستكثار مبالغ من الأموال يمكن أن تنفق عليهم لكسب ودهم واستمرارية ولائهم، فخرجوا إلى حزب بني

---

[١] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص ٢٨٨ .

[٢] ابن عبد ربه **، العقد الفريد** ، ج١ ، ص ٢٨٨ .

أمية وتركوا ولاءهم له مقبلين على عبد الملك بن مروان، فلو أن زعيم الزبيريين أعطاهم مما حصل عليه لما حدث ما حدث وازادت قوته وخفت مسؤوليته وهو بهذا لم يطبق مبدأ من لهم لكي يسعى فلن أدعه يذهب لغيري بل إنه ناقضه تماماً فجعل من كانوا معه يذهبون إلى غيره وهذا أحد الأسباب التي جعلت حزب الزبيريين يتفتت في مرحلة مبكرة بأن ينظر عليه عبد الملك ويسحق رجاله .

وفادة حمزة بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب :

ووفد حمزة[١] بن بيض على مخلد بن يزيد بن المهلب[٢]فوعده أن يصنع به خيرا ، ثـم شغل عنه ، فاختلف عليه مرارا ثم لم يصل إليه وأبطأت عليه عدته ، فقال ابن بيض :

أمخلد إن الله ما شاء يصنـع   يجود فيعطي ما يشاء ويمنـع
وإني قد أملت منك سحابـة   فجادت سرابا فوق بيداء تلمـع
فأجمعت صرما ثم قلت لعله   يثوب إلى أمر جميل ويرجـع
فأيأسني من خير مخلد إنـه   علـى كل حال ليس فيه مطمـع
يجود لأقوام يودون أنـه   من البغض والشنآن أمسى يقطـع
ويبخل بالمعروف عمن يـوده   فوالله ما أدري به كيف أصنـع
أأصرمه ؟ فالصرم شر مغبة   ونفسي إليه بالوصال تقطـع
وشتان بيني والوصال وبينـه   على كل حال أستقيم ويظلـع
فأعقبني صرما على غير إحنة   وبخلا وقدما كان لي يتبـرع
وغيره ما غير الناس قبلـه   فنفسي بما يأتي به ليس تقنـع

ثم كتبها في قرطاس ، وختمه ، وبعث به مع رجل ، فدفعه إلى غلامه . فدفعه الغـلام إليه . فلما قرأه سأل الغلام : من صاحب الكتاب ؟ قال لا أعرفه ، فأدخل إليه الرجل ، فقـال : من أعطاك الكتاب ؟ ومن بعث به معك ؟ قال : لا أدري ، ولكن من صفته كذا وكذا ، ووصف صفة ابن بيض . فأمر به فضرب عشرين سوطا ، وأمر له بخمسمائة درهم وكسـاه ، وقـال : إنما ضربناك أدبا لك ، لأنك حملت كتابا لا تدري ما فيه لمن لا تعرفه ، فإياك أن تعود لمثلها .

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ، ج١٥ ، ص٢٣ . وحمزة بن بيض : شاعر من شعراء الدولة الأموية .
(٢) أمير من بيت إمارة ورياسة وبطولة ، ولي إمارة خراسان على عهد عمر بن عبد العزيز .

فقال الرجل : لا والله ، أصلحك الله لا أحمل كتابا لمن أعرفه ولا لمن لا أعرف ، قال : احذر فليس كل أحد يصنع بك صنيعي .

وبعث إلى ابن بيض ، فقال له أتعرف ما لحق صاحبك الرجل ؟ قال : لا ؛ فحدثه مخلد بقصته ، فقال ابن بيض : والله – أصلحك الله – لا تزال نفسه تتوق إلى العشرين سـوطا مـع الخمسمائة أبدا . فضحك مخلد ، وأمر له بخمسة آلاف درهم وخمسة أثواب ، وقال : وأنت والله لا تزال نفسك تتوق إلى عتاب إخوانك أبدا ، قال أجل والله ، ولكن من لي بمثلـك يعتبنـي إذا استعتبته ، ويفعل بي مثل فعلك . ثم قال :

وَأبيض بهلُولٍ إذَا جِئْتُ داره   كفَانِي وَأعطَانِي الذِي جِئْتُ أسأَلُ

ويعتِبنِي يوماً إذَا كُنْتُ عاتِبـًا   وإن قُلْتُ زِدنِي قَالَ حقاً سأَفْعـلُ

تَراه إذَا ما جِئْتَه تَطْلُب الندى   كأنك تُعطِيهِ الذِي جِئْتَ تَسـأَلُ

فأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب .

وفادة الراعي النميري على عبد الملك بن مروان :

وسأتناول هنا قصيدة مطولة ؛ هي قصيدة الراعي النميري[1]التي يشـكو فيهـا عسـف السعاة إلى عبد الملك بن مروان والتي يقول في مطلعها [2]:

ما بالُ دفك بِالفِراشِ مذِيلا   أَقَذَى بِعينَك أَم أَردتَ رحِيـــلا

إلى أن يقول :

أبلِغْ أَمِير المؤمِنِين رسالَـــةً   تَشْكُو إلَيك مظَالِماً وعوِيــلا

---

(١) عبيد بن الحصين بن جندل من نمير بن عامر شاعر اسلامي عاصر الفرزدق وجرير وعده النقاد من طبقتهم.

(٢)الراعي ، عبيد بن حصين النميري (ت ٩٧ هـ) ، **الديوان** ، (ط١) بيروت ١٩٩٥ ، صـ٢١٣ .

مِن نَازِحٍ كثرت إليك همومـه لو يستَطِيع إلى اللقَاءِ سبيـ ـ ـلا
طَالَ التَقَلب والزمان ورابـ ـه كسلٌ ويكْـ ـره أن يكُون كسولا
ضافَ الهموم وساده وتَجنبـَتْ ريان يصبح فِي المنَامِ ثَقِيـ ـلا
فَطَوى البِلاد على قضاءِ صريمةٍ بِالجِد واتخَذَ الزماع خَلِيـ ـ ـلا
وعلا المشِيب لِداتِه ، وخَلَتْ لَـه حقَب نَقَضن مريره المفْتُـ ـ ـولا
فَكأن أعظُمه محاجِن نَبعـ ـ ـ ـةٍ عوج قَدمن فَقَد أردن نُحـ ـولا
كحدِيدةِ الهِنْدِي أمسى جفْنُـ ـ ـه خَلَقَاً ، ولم يك فِي العِظَامِ نَكُولا
تَعلُو حدِيدتَه ، وتُنْكِر لونَـ ـ ـه عين رأتْه فِي الشَباب صقِيـْ ـلا
إني حلَفْتُ علَـ ـى يمِيـ ـنٍ برةٍ لا أكْذِب اليوم الخَلِيفَةَ قِيـ ـ ـلا
ما زرتُ آلَ أبِي خُبيبٍ طَائِعـ ـاً يوماً أُرِيد لِبيعتِـ ـ ـ ـي تَبدِيلا
ولما أتَيتُ نُجيدةَ بن عويمِـ ـ ـرٍ أبغِي الهدى فَيزيدنِي تَضلِيـْ ـلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتـ ـي إني أعد له علي فضـ ـ ـ ـولا
وشَنِئْتُ كُل منَافِقٍ متَقَلـ ـ ـ ـبٍ تَرك الزلازلُ قَلبه مدخُـ ـ ـولا
واهي الأمانَةِ لا تَزالُ قَلُوصـ ـه بين الخَوارِجِ نَهزةً وذَمِيـ ـلا
إذ كُلهم أمسى يهم ببيعـ ـ ـةٍ مسح الأكُف تُعاوِد المِنْدِيـ ـ ـ ـلا
أخَليفَةَ الرحمن إنا معشَـ ـر حنَفَاء نَسجد بكْرةً وأصِيـ ـ ـ ـ ـلا
عرب نَرى للهِ فِي أموالِنَـ ـ ـا حق الزكَاةِ منَزلاً تَنْزِيـ ـ ـ ـ ـلا
إن السعاةَ عصوك يوم أمرتَهـ ـم وأتَوا دواهِي لو علِمتَ وغُـ ـولا
كتَبوا الدهيم مِن العِدا بمشَـ ـرفٍ عادٍ يرِيد خِيانَةً وغُلُـ ـ ـ ـ ـ ـولا
نُخر الخَلِيفَةِ لو أحطتَ بِعِلمِـ ـهِ لَتَركْتَ مِنه طَائِفاً مفْصـ ـ ـ ـ ـولا

أَخَذُوا العريفَ فَقَطعوا حيزومـه ... بالأصبحيـةِ قائمـاً مغلُولا

حتـى إذَا لم يتْركوا لِعِظَامِـهِ ... لحماً ولا لِفُؤادِهِ معقُـولا

جـاءوا بِصكِّهم وأحدب أسأرت ... مِنْه السياطُ يراعةً إجفيـْلا

نـَسِي الأمانَةَ من مخَـافَةِ لُقحٍ ... شُمسٍ تَركْن بضِيعةُ مجـدولا

أَخَذُوا حمولتَه فأصبح قَاعِـداً ... لا يستَطِيع عن الديار حويـلا

يدعو أمِير المؤمِنين ودونَـه ... خَبتٌ تَجر به الريـاح ذُيـولا

كهداهِدٍ كسر الرماةُ جنَاحـه ... يدعو بِقَارعةِ الطريـق هدِيـلا

وقْع الربيع وقَد تَقَارب خَطْـوه ... ورأى بِعقوتِهِ أجش نَسـولا

متَوشح الأقْرابِ فِيهِ نَهمـةٌ ... نَهشَ اليدين تَخَالُه مشْكُـولا

كـدخَان مرتَجِلٍ بِأعلى تَلْعـةٍ ... غَرثَان ضرم عرفَجاً مبلُـولا

إن الناظر في هذه القصيدة يجدها تتكون من شقين الأول في الإبل والرحلة وقد جاء ليقدم أبعاد القصيدة في صور تتشكل وتتجمع لتفضي إلى الموضوع الرئيسي الذي ينشده الشاعر والثاني الشكوى والاحتجاج ولا نكاد نلمس فيها مدحا لعبد الملك بن مروان فقد صنفت على أنها في ((مدح عبد الملك بن مروان والشكوى من السعاة العاملين)) [(١)]. فالقصيدة لا يظهـر فيهـا المدح وإن ذكر مروان و ابنه في بعض الأبيات فلكي يكون حازما قويا . وهو إنما يذكره بـأن عهده يمور بفتن كتلك التي كانت في عهد أبيه . فالقصيدة شكوى لا مدح .

والشاعر يوضح في القصيدة موقفه وموقف قبيلته السياسي إبان الصراع بين الأمـويين والزبيريين ويؤكد استقامتهم الدينية وبعدهم عن الضلالة والغواية السياسية وأن ولائهم لبني أمية

---

(١)القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ، **جمهرة أشعار العرب** ، تحقيق علي البجاوي ، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٧ ، ج٢ ، ص ٩١٢.

لم يتضعضع فيما سبق ، وهو لم يحاول أن يبرز حق الأمويين في الخلافة بل هو يقره ويـذكر عبد الملك به من خلال كلمات يطلقها مخاطبا بها عبد الملك كقولـه خليفـة الـرحمن وأميـر المؤمنين والخليفة وأحيانا الأمير. ومع كل هذا فإنه بما يحدث له ولقومه فقـد توعـد الراعـي النميري عبد الملك بالخروج عليه وذلك بقوله :

فَلَئِن سلِمتَ لَأدعون بِطَعنَةٍ   تَدع الفَرائِض بِالشَريفِ قَلِيلَا

وتروي الأخبار "أن عبد الملك قال للراعي بعد أن سمع هذا البيت : فأين أنت مـن الله والسلطان لا أم لك ؟ فأجابه الراعي . يا أمير المؤمنين من عامل إلى عامل ومن مصـدق إلـى مصدق ..

وقد فهم عبد الملك القصيدة فهما واعيا حتى إنه عندما وفد عليه الراعي مادحا قال لـه: أنت العام أعقل منك عام أول" (١).

وهذه القصيدة باعثها الاحتجاج والتظلم والرفض لتلك السياسة الاقتصادية التـي كانـت تسير عليها الدولة وهذا أمر غير مألوف من شعراء المدح .

وهي نمط جديد من الموضوعات في الشعر العربي زمن بني أميـة فرضـته طبيعـة السياسة الاقتصادية آنذاك ، و التي ترتب عليها القيام بوفادة لبلاط عبد الملك بن مروان وهذا ما ورد في طبقات فحول الشعراء عن الراعي : وكان يقال في شعره ، كأنه يعتسف الفـلاة بغيـر دليل ، أي أنه لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه (٢).

---

(١)الجمحي ، **طبقات فحول الشعراء** ، ج١، ص٥١١.

(٢) **المصدر السابق** ج١ ، صـ٥٠٢ .

وقد استخدم الشاعر كلمات تدل على الشكوى مثل عويل ، مظالما ، التقلـب ، المنـام، كسولا ، حلفت ، يمين ، أكذب ، طائعا ، عرب ، أموال ، زكاه ، الـرحمن .. وهـي كلمـات واضحة تدل على التشكي والتظلم .

وكأن الشاعر بوصفه الرحلة في شق القصيدة الأول يرتب رحيله من حالة إلـى حالـة برحيله من مكان إلى مكان ، فرحيله على الناقة إلى عبد الملك شاكيا ومتظلما يعبر عن رحيلـه من حالة الظلم التي عاناها وقومه إلى عدل يرجوه من عبد الملك استطاع نواله.

حتى إنه عندما قال في قصيدة أخرى بإحدى وفاداته على عبد الملك طالبا لقومه :

فَإِن رفَعتُ بِهِم رأساً لِعِشْقِهِم   إِن لَقُوا مِثْلَها مِن قَابِلٍ فَسدوا

قال له عبد الملك : فتريد ماذا ؟ قال : ترد عليهم صدقاتهم فتنعشهم . فقال عبد الملك : هذا كثير . قال : أنت أكثر منه . قال : فعلت . فسلني حاجة تخصك . قال : قد قضيت حاجتي. قال : سل حاجتك لنفسك . قال : ما كنت لأفسد هذه المكرمة[1].

ويكون الراعي قد وفد على عبد الملك حاملا لهموم قومه ومعاناتهم ، متحدثا باسـمهم ، فقد كان زعيما لقبيلته ورث سيادتها عن والده استطاع أن يرفع الظلم عنها لا أن يتركهـا لقمـة سائغة للسعاة الذين شكاهم لعبد الملك ، ويتجلى ذلك بوصفهم :

كُتُباً تَركْن غَنِيهم ذَا عِيلَةٍ   بعد الغِنَى وفَقِيرهم مهزولَـا

وإن لي ملمحا في قضية الشكوى هذه إذ أن الراعي النميري لا يريد أن يشكو عبد الملك مباشرة لأن وفادته ستبوء بالفشل وإنما تعرض للسعاة والعمال الذين ولّاهم عبد الملك ، فإذا قلنا عمال من وسعاة من هم ؟ انهم سعاة عبد الملك بن مروان ، ولحنكته لم يوجـه الاتهـام إليـه مباشرة لأنه حتما سيناصبه العداء وسيبوء بذنب لن يغفره عبد الملك . ولكنه عـرض بالسـعاة

---

(1) الأصفهاني ، **الأغاني** ج٢٤، ص٢١٣.

وذكر الخليفة بولائه وولاء قبيلته زمن أبيه مروان بن الحكم ، وأنهم ليسوا أذلة لهذا الولاء وإنما على عبد الملك أن يحفظ الصنيعة ، فقد هدد عبد الملك بالخروج عليه إن لـم يسـتجب ، دون ضعف أو تذلل ، وإنما عرض ما يريد على عبد الملك ورجا أن يتم له الأمر لكي لا يذهب إلى ما يكره ويكرهه عبد الملك بن مروان نفسه.

وفادة جرير على عمر بن عبد العزيز :

ونرى في وفادة جرير عن أهل الحجاز على عمر بن عبد العزيز نمطـاً محسـناً فـي الوفادة الاقتصادية تلك الوفادة التي تحمل هموم القوم ومشاكلهم فلم يعد الوافد في عهد عمر بـن عبد العزيز كالوافد في عهود الخلفاء السابقين وقد تكون طبيعة سياسة الخليفة عمـر بـن عبـد العزيز هي التي تفرض مثل هذا النوع من الوفادة.

فعندما استأذن جرير في قول الشعر امام الخليفة عمر قال الخليفة: مـالي وللشـعر يـا جرير إني لفي شغل عنه.

قال جرير [1] : يا أمير المؤمنين إنها رسالة عن أهل الحجاز قال فهاتها إذاً فقال:

كم مِن ضـريرٍ، أَميـر المـؤمنين لَـدى ... أَهـل الحِجـاز، دهـاةُ البـؤسِ والضـرر

أَصـابتْ السـنَةُ الشـهباء مـا ملَكَـتْ ... يمِينُــه، فَحنَــاه الجهــد والكبــر

ومِـن قَطِيـعِ الحشَـا عاشَـتْ مخَبـأَةً ... مـا كانَـتِ الشـمس تَلْقَاهـا ولا القَمـر

لَمـا أَحالَتْهـا صـروفُ الـدهر كارهـةً ... قَامتْ تُنَـادِي بِـأعلَى الصـوتِ يـا عمـر

فنرى أن أسلوب الوافد قد تغير من مدح الخليفة إلى تقديم تقرير عن واقع الحال لأهـل الحجاز الذين خبرهم عمر، ذاك أن الشاعر يعلم كل العلم ما الذي يريد سماعه الخليفة ، فعنـدما

---

[1] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد ،** ج١، ص٢٧٩ .

أخبره أن شعره رسالة عن أهل الحجاز طلب منه إنشادها على الفور، وبهذا تعلم أن الناس على دين ملوكهم كما يقولون فنفره عمر من المديح واقترابه من هموم الناس جعل الشعراء الوافـدين يحذون حذوه في نقل العودة الحقيقية لواقع المجتمع.

وفادة زيد بن منية على معاوية بن أبي سفيان :

ومن الوفادات التي تميزت زمن بني أمية وفادة زيد بن منْية على معاوية بن أبي سفيان. قال العتبي[٢]: قدم زيد بن منْية على معهاوية من البصرة – وهو أخو يعلى بن منيـة صـاحب جمل عائشة، ومتولي تلك الحروب ورأس البصرة - وكان عتبة بن أبي سفيان قد تـزوج ابنـة يعلى بن منية – فلما دخل على معاوية شكا إليه ديناً لزمه . فقال : يا كعب ، أعطه ثلاثين ألفاً . فلما ولّى قال : وليوم الجمل ثلاثين ألفا أخرى . ثم قال له الحق بصهرك – يعني عتبة – فقـدم عليه مصر، فقال : إني سرت إليك شهرين ، أخوض فيها المتالف ، ألبس أردية الليـل مـرة ، وأخوض في لُجج السراب أخرى ، موقرا من حسن الظن بك ، وهاربا من دهر قطـم ، وديـن لزم ، بعد غناً جدعنا به أنوف الحاسدين ، فلم أجد إلا مهربا وعليك معولا . فقال عتبة : مرحبا بك وأهلا ؛ إن الدهر أعاركم غنى ، وأنا واضع يدي ويدك بيد الله فأعطاه سـتين ألفـاً ، كمـا أعطاه معاوية رحمه الله .

فهذه الوفادة تدل على تقدير معاوية للرجال الذين يفدون عليه وكيف أنه ينزلهم منـازلهم التي يستحقونها ويثيبهم مثوبة عظيمة ، وهو لا يكتفي بهذا بل يرسلهم إلى عماله ليمرمونهم كما أكرمهم ، وهذا كله في سبيل نيل محبتهم وكسب قلوبهم وإعلانهم الولاء والطاعة لمعاوية بن أبي سفيان .

---

[٢] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١ ، صـ٢٦٨ .

وفادة عبد العزيز بن زرارة على معاوية بن أبي سفيان :

ومن الوفادات التي تحاكي تلك الوفادة التي استعرضناها آنفاً وتبين قدرة الأمويين علـى كسب ود أعدائهم من خلال الوفادة _ وفادة عبد العزيز بن زرارة على معاوية – قال العتبـي عن أبيه[1]: وفد عبد العزيز بن زرارة على معاوية وهو سيد أهل الكوفة ، فلما أذن له وقـف بين يديه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، لم أزل أهز ذوائب الرحال إليك ؛ إذ لم أجـد معـولا إلا عليك ، وتسوقني بلوى ، والمجتهد يعذر ، وإذ بلغتك فقطني . فقال معاوية : احطُط عن راحلتك رحلها .

وخرج عبد العزيز بن زرارة مع يزيد بن معاوية إلى الصائفة ، فهلك هناك ؛ فكتب بـه يزيد بن معاوية إلى معاوية ، فقال لزرارة : أتاني اليوم نعي سيد شباب العرب . قـال زرارة : يا أمير المؤمنين ؟ هو ابني أو ابنك . قال : بل ابنك . قال : للموت ما تلد الوالدة .

وفادة دُكَين الراجز على عمر بن عبد العزيز :

قال دكين بن رجاء الفقيمي الراجز[1]: مدحت عمر بن عبد العزيز وهو والي المدينـة ، فأمر لي بخمس عشرة ناقة كرائم صعابا ، فكرهت أن أرمي بها الفجاج فتنتشر علي ، ولم تطب نفسي ببيعها ، فقدمت علينا رفقةٌ من مصر ، فسألتهم الصحبة ، فقالوا : إن خرجت الليلة . فقلت : إني لم أودع الأمير ولا بد من وداعه . قالوا : فإن الأمير لا يحجـب عـن طـارق ليـل . فاستأذنت عليه ، فأذن لي وعنده شيخان لا أعرفهما . فقال لي : يا دكين ، إن لي نفسا تواقـة ، فإن أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه فَبِعين ما أَرينك . قلت له : أشهد لي بذلك أيها الأمير . قال: إني أشهد الله . قلت : ومن خلقه ! قال : هذين الشيخين . قلت لأحدهما : من أنت يرحمـك الله أعرفك ؟ قال سالم بن عبد الله . فقلت : لقد استسميت . وقلت للآخر : من أنت يرحمـك الله ؟

---

[1] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ،ج١، صـ٢٦٨ .

[1] المصدر السابق ، ج١ ، صـ٢٧٩.

قال : أبو يحيى مولى الأمير . وكان مزاحم يكنى أبا يحيى . قال دكين : فخرجـت بهـن إلـى بلادي، فرمى الله في أذنابهن بالبركة ، حتى اتخذت منهن الضياع والربـاع والغلمـان . فـإني لبصحراء فَلْج ، إذا بريد يركض إلى الشام ، فقلت له : هل من مغَربةٍ خَبر ؟ قال : مات سليمان بن عبد الملك . قلت : فمن القائم بعده ؟ قال : عمر بن عبد العزيز . قال : فأنخـت قَلوصـي فألقيت عليها أداتي وتوجهت عنده ؛ فلقيت جريرا في الطريق جائياً من عنده ، فقلت : من أيـن أبا حزرة؟ قال : من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع الشعراء . قلت : فما ترى فإني خرجت إليه؟ قال : عول عليه في مال ابن السبيل كما فعلت . فانطلقت فوجدته قاعدا على كرسي فـي فـي عرصة داره ، قد أحاط الناس به . فلم أجد إليه سبيلا للوصول ، فناديت بأعلى صوتي :

يا عمر الخَيراتِ والمكـارم وعمر الدسائِـعِ والعظَائِـم

إني امرؤ من قَطن بن دارم أطلب حاجِي من أخِي المكارم

إذْ نَنْتَجِي والليلُ غَير نَائِـم فِي ظُلمـة الليـل ولَيلي عاتِم

عِنْد أبِي يحيى وعِنْد سالِم

فقام أبو يحيى ففرج لي ، وقال : يا أمير المؤمنين ، إن لهذا البدوي عندي شهادة عليك.

قال : أعرفها ، ادن مني يا دكين ، أنا كما ذكرت لك أن لي نفسا تواقة ، وأن نفسي تاقت إلـى أشرف منازل الدنيا ، فلما أدركتها وجدتها تتوق إلى الآخرة ؛ والله ما رزأت من أمـور النـاس شيئاً فأعطيك منه ، وما عندي إلا ألفا درهم ، أعطيك أحدهما . فأمر لي بألف درهم . فوالله مـا رأيت ألفا كانت أعظَم بركة منها .

نتبين من هذه الوفادة عدة معانٍ منها أن الخلفاء كانوا يفون بعهودهم ، وأن لعمر بن عبد العزيز شأن عظيم مع الوافدين الذين اعتادوا أن يأخذوا من الأموال الشيء الكثيـر . إلا أنهـم كـانوا راضين عن عمر رغم أنه لم يهبهم ما اعتادوا أن يأخذوه منه ، حتى أن جريرا تحايل بأنه ابـن سبيل لينال منه شيئاً مقرا بأنه خليفة يعطي الفقراء ويمنع الشعراء .

الفصل الرابع

أدب الوفادة الثقافية

اتسعت الثقافة في عصر بني أمية ، فشملت الثقافة الإسلامية والعربية والأدبية ، وتعددت بيئات الثقافة ومواطن العلم : في مكة والمدينة والحجاز والشام وبخاصة دمشق ومصر والقيروان وطرابلس وتونس والبصرة والكوفة وسواها ، وتصدر حلقات العلم في الممالك الإسلامية الصحابة والتابعون ، واستفاد العرب من معارف الأمم الأخرى فبدأوا في الترجمة منها إلى العربية ، وأفاد ذلك كله الشاعر العربي ثقافة في أفكاره ومعانيه وأخيلته ، وثقافة في فنه الشعري .

وانظر إلى ذي الرمة وكان قدريا يقول باكتساب الإنسان لأفعال نفسه الاختيارية يقول :

وعينَان قَالَ اللهُ كُونَا فَكَانَتَا   فَعولان ِفِي الألْبابِ ما تَفْعلُ الخَمر

فقيل له هلا قلت : فعولين ، فأنكر ذلك إنكارا شديدا ، لأنه لو قال : فعولين لكان جبريا، وهو راغب عن الجبر إلى القول بالقدر . واتضحت مناهج الشعر أمام الشاعر الأموي بتأثير الثقافة ، وأخذ الشباب يتعلم الشعر كما يتعلم الأدب والخطابة تعلما ، وقد أثر ذلك كثيرا في تطور الشعر الأموي) [1].

وكانت الثقافة الأدبية من لغة وشعر وأخبار قد خطت خطوات فسيحة في هذا العصر ، إذ كان الشعب يحرص عليها ويعتز بها ، والأمويون يشتدون في صبغ دولتهم بالصبغ العربي الخالص، وكان هؤلاء الحكام وكثير من السراة والكبراء والعلماء يعتزون بما خلف العرب من

([1])الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ٨٥ .

تراث أدبي ولغوي ، ويحتفون بما ينشئ معاصروهم من شعر ، وكان كثير منهم أصـحاب ذوق يطربون للقول الرائع ، ويقدرون أصحابه[١].

وقد سارت اللغة العربية والأدب العربي والثقافة الإسلامية حيثمـا تسـير الفتوحـات ، فحيثما يفتح المسلمون البلاد ، تقيم فيها حاميات من جند المسلمين ، وعلى هذه الحاميات قـواد من العرب ، وبجانب الجيش أمراء يحكمون هذه البلاد وغالبا ما يكونون هم أمراء الجيـوش ، وبجانبهم تنزل القبائل العربية المهاجرة تتكلم اللغة العربية ، وتـذيع الأدب العربـي ، وتأخـذ لهجتها ولغتها العربية في الذيوع بين سكان البلاد الأصليين ببواعث الجوار والاختلاط والسيادة والمصالح المشتركة ، ويقبل من يدخلون في الإسلام من أهل البلاد الأصليين على تعلـم لغـة العرب ، والتأدب بآدابهم ، وحفظ أشعارهم وتعلم علومهم، ومن ثم انتشرت اللغـة وذاع الأدب في كثير من البلاد المفتوحة ، وقامت مواطن الأدب في المملكة الإسلامية المترامية الأطـراف التي كانت تستظل بظل الأمويين ، وتتجه إليهم في كل مناسبة ، وإلى عاصمتهم الكبرى دمشـق عاصمة الإسلام وحاضرة خلافة المسلمين[٢].

وكانت أهم مواطن الأدب والثقافة في عصر بني أمية هي مكـة والمدينـة والبصـرة والكوفة ودمشق والفسطاط :

اهتمام الخلفاء بالوفادة الثقافية

كان الخلفاء والأمراء الأمويين نقدة كلام ، وأمراء بلاغة ، وفرسان فصاحة ، يميـزون جيد الأدب من رديئه ، ويعرفون صحيحه من زائفه ويقدرون منازل الشعراء . ويزنون الكـلام بمعيار صحيح [١]. وكانوا يقبلون الجيد ويثبون عليه ، ويستنكرون الضعيف الزائـف ويـدلون

---

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ٢٦٧.

(٢)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، صـ٣٣.

على موضع نقصه ومكان عيبه ، ذلك لأن لهم من سلائقهم العربية ، وفطرهم الأدبية ، وعلمهم بشوارد الأدب وغرائب الأشعار ، ما يعينهم على نقد الشعر ، ويدفعهم إلـى حسـن التقـدير ، وجمال المثوبة . وهل هناك أدل على صفاء الذوق وقوة الملاحظة ، ودقة النقد وصادق التمييز.

ومن ذلك ما يؤثر عن عبد الملك بن مروان الخليفة الأديب ، وعدم مجاملتـه للشـعراء الوافدين عليه على حساب الأدب والذوق العربي ، كما سنرى في وفادة ابـن قـيس الرقيـات الشاعر المشهور عليه والتي سنوردها عند استعراض الوفادات . (ودخل رجل على عبد الملـك بن مروان، وكان لا يسأله عبد الملك عن شيء إلى وجد منه علماً، فقال له: أنى لك هذا؟ فقـال: لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علماً أفيده، ولم أحتقر علماً أستفيد منه، وكنـت إذا لقيـت الرجـل أخذت منه وأعطيته) [(١)].

وقد اجتمع عند مسلمة بن عبد الملك بعض سماره ، وكان فيهم عبد الله بن عبد الأعلـى الشاعر ، فقال مسلمة : أي بيت قالته العرب أوعظ وأحكم ؟ فقال له عبد الله : قول الشاعر :

صبا ما صبا حتى علا الشَيب رأسه   فلَما علاه قالَ ِللباطِل َأبعِدِ

فقال مسلمة : والله ما وعظني شعر قط كما وعظني شعر ابن حِطان حيث يقول :

فَيوشِك َأن يقَارن ليلَـــــةً   يسوقَان حتْفاً راح نَحوك َأو غَدا

فقال بعض من حضر : أما والله لقد سمعته أجل الموت ثم أفناه ، وما صنع هذا غيره . فقال مسلمة : وكيف ذاك ؟ قال إنه قال :

لا يعجِز الموتَ شَئٌ دون خَاِلِقه   والموتُ فَانٍ إِذَا ما نَاله الأجـلُ

وكُلُ كربٍ َأمام الموتِ متضِع   ِللْموتِ ، والموتُ ِفيما بعده جلَلُ

---

(١)ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ،ج١، ص ٢٠٣.

فبكى مسلمة حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : ارددهما علي ، فرددهمـا حتـى حفظهمـا مسلمة[1] .

ومما يدل على شدة ملاحظتهم وحضور بديهتهم وألمعيتهم في النقد ، أن أبا زيد الأسلمي دخل على إبراهيم بن هشام فأنشده : ((يا بن هشام يا أخا الكرام)) فغضب إبراهيم وقال : إنمـا أنا أخوهم ، وكأني لست منهم ، ثم أمر به فضرب بالسياط .

ولما أدرك الشعراء أن الخلفاء والأمراء يمنحون جيد الأشـعار ، ومتخيـر القصـائد ، منزلة عالية ، ويثيبون عليه مثوبة طائلة ، وأنهم يتجهمون لمواطن العيب ، ويفطنون في سرعة عجيبة لمكان النقص وموضع الزلل ، وأنهم قد يعاقبون على ذلك عقوبة أقلها حبس العطـاء[2]، وقبض الصلة ، لما أيقن الشعراء من ذلك ، حرصوا أشد الحرص على التجويـد والتهـذيب ، وبالغوا أعظم المبالغة في تنقيح بنات أفكارهم ، وتهذيب قصائدهم ، لتفتح لهم القلـوب المغلقـة وتلين النفوس العصية ، وتستدر العطايا.

وكان الخلفاء والأمراء يطربون أيما طرب لسماع الجيد من المدح ، والبليغ من الثناء ، وكانوا في نشوة هذا الطرب ، وفي غمرة تلك الأريحية يصفحون عن المسئ ، ويعفـون عـن المذنب ، ويقبلون شفاعة الشعراء .

ولقد كان الخليفة الأموي ينشد بيتا من الشعر ويغيب عنه قائله فيأرق جفنه ، وينبو بـه مضجعه ، ويبعث في طلب الرواة والعلماء حتى يعرف قائله ويخلع عليهم العطايا ، ويهب لهـم الجوائز ، ويصلهم بأكرم الصلات .

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ، ج١٦، ص١٥١ .

(٢)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ٥٥ .

وكان هذا من العوامل التي شجعت على رواية الشعر وحفظه وتلقي الأشـعار والبحـث عنها لدى عارفيها والملمين بها .. وهذه العناية البالغة من جانب الخلفاء أحيت من أشعار العرب القديمة ما أوشك الناس أن ينسوه وما قاربوا أن يغفلوه ، إذ كان الراوية يحظى من عطايا الحكام بمثل ما يحظى به الشاعر[١].

وقد أدى هذا إلى تشجيع الوفود بالوفادة على خلفاء بني أمية وقوادهم للحصـول علـى صلاتهم ، مما ساهم في تطور الحركة الثقافية في العصر الأموي تطورا نوعيا راقيا نلمس آثاره في قصص الوفادة الثقافية التي سنتناولها لاحقا .

صور من عناية الأمويين بأدب الوفادة الثقافية

وقد أوصى معاوية باتخاذ الشعر وسيلة من وسائل التربية في قوله[٢]: اجعلـوا الشـعر أكبر همكم ، وأكثر آدابكم ، فإن فيه مآثر أسلافكم ، ومواضع إرشادكم، فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين ، وقد أتيت بفرس أغر محجل ، بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب ، لشدة البلوى، فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أَبتْ لِي هِمتِي وَأبى بلائِـ ـ ـ ـ ـي　　وَأَخْذِي الحمد بِالثَّمن الربيـ ـحِ
وإِقْحامِي على المكْروهِ نَفْسِـ ـي　　وضربِي هامةَ البطَل المشِيـ ـ ـحِ
وقَولِي كُلما جشَأَتْ وجاشَـ ـ ـتْ　　مكانَكِ تُحمدِي أَو تَستَريحِـ ـ ـ ـي
لِأَدفَع عن مآثِر صالِحـ ـ ـ ـاتٍ　　وأَحمِي بعد عن عرضٍ صحِيحِ

---

(١)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ٥٦ .

(٢)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ ٢٧٠.

على أن الخلفاء كانوا حراصا على فصاحة أبنائهم ، فجعلوا ينشـئونهم بالباديـة ، ثـم يعهدون بتربيتهم وتعليمهم إلى طبقة من العلماء هم المؤدبون ، وكان هؤلاء المؤدبـون يثقفـون تلاميذهم باللغة والشعر والتاريخ والأنساب(١).

فكان عبد الملك يقول لبنيه عليكم بطلب الأدب فإنكم إن احتجتم إليه كان لكم مالا ، وإن استغنيتم عنه كان لكم جمالا . وقال لمؤدب ولده : إذا رويتهم الشعر فلا تروهم إلا مثـل قـول العجير السلولي :

يبين الجار حين يبين عنـــي ولم تأنس إلي كلاب جاري

وتظعن جارتي من جنب بيتـي ولم تستر بستر من جداري

وتأمن أن أطالع حيـــن آتي عليها وهي واضعة الخمار

كذلك هدي آبائي قديمـــــا توارثه النجار عن النجـار

فهديي هديهم وهم افتلونــــي كما افتلي العتيق من المهاري

فهو يؤثر هذا الشعر لأنه يربي مكارم الأخلاق .

وجلس ذات مرة في عدة من أهل بيته وولده فقال : ليقل كل منكم أحسن شعر سـمعه ، فذكروا لامرئ القيس وطرفة والأعشى وأكثروا ، فقال : أشعر من هؤلاء والله معـن بـن أوس حيث يقول:

وذي رحم قلمت أظفار ضغنـه بحلمـي عنه وهو ليس له حلم

إذا سمته وصل القرابة سامنـي قطيعتها تلك السفاهـــة والظلم

وأسعى لكي أبني ويهدم صالحي وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم

يحاول رغمي لا يحاول غيـره وكالموت عندي أن يحل به رغم

---

(١)الحوفي ، **أدب السياسة** ، صـ ٢٧٠.

فما زلتُ في ليني له وتعطفي   عليه كما تحنو على الولد الأم

لأستل منه الضغن حتى سللته   وقد كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وسأل عبد الملك جلساءه [1]: أي المناديل أفضل ؟ فقال أحدهم : مناديل مصر كأنها غِرقِئ البيض ، وقال آخر : مناديل اليمن كأنها نَور الربيع ، فقال : بل مناديل عبدة بن الطبيب حيث يقول :

لما نزلنا نصبنا ظل أخبية   وفار للقوم باللحم المراجيلُ

ورد وأشقر ما يأتيه طابخه   ما غير الغلي منه فهو مأكولُ

ثمت قمنا إلى جردٍ مسومةٍ   أعرافهن لأيدينا مناديلُ

وسأل يوما عبد الملك بن مروان : من أشجع الناس شعرا ؟ فقيل عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف ! وهو الذي يقول [2]:

فجاشتْ إلى النفسِ أول مرةٍ   فردتْ على مكروهها فاستقرتِ

قالوا : فعمرو بن الإطنابة . فقال : كيف ! وهو الذي يقول :

وقولي كلما جشأتْ وجاشتْ   مكانكِ تحمدي أو تستريحي

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف ! وهو الذي يقول :

أقولُ لنفسٍ لا يجاد بمثلها   أقلي مراحاً إنني غير مدبر

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال أربعة . عباس بن مرداس لقوله :

أشد على الكتيبة لا أبالي   أفيها كان حتفي أم سواها

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج ١، ص١٢٤ .

(٢) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ)، **مجمع الأمثال** ، تحقيق قصي الحسين دار مكتبة الهلال ٢٠٠٣ بيروت . ج ٢ ، ص ٢٢ .

وقيس بن الخطيم الأوسي ، لقوله :

وإني لدى الحربِ العوان موكلٌ   بتقْدِيم نَفْسٍ لا أُريد بقاءها

وعنترة العبسي ، لقوله :

إذْ يتقُون بي الأسِنةَ لم أخِم   عنْها ولكِن قد تضايقَ مقْدمِي

ورجل من بني مزينة لقوله :

دعوتُ بني قُحافةَ فاستجابوا   فقُلْتُ : ردوا فقد طاب الورود[1].

وكان خلف الأحمر يدرب تلاميذه على قرض الشعر ، فيذكر لهم البيتين ، ثم يغير قافية أولهما ، ويطالبهم بتغيير قافية الثاني لتلائم الأول .

وكان رواة الشعر يحرصون على جمعه وتدوينه وحفظه ، كما يحرص رواة الحديث على جمعه وحفظه وتسجيله ، وكان بعضهم يشافه الأعراب ، ويسجل ما يروى ، وبعضهم يحفظ من مدونات ، وبعضهم يلازم الشعراء ويذيع عنهم[2].

وكان أبو عمرو بن العلاء قد ملأ حجرة إلى ما يقرب من سقفها ، فلما تنسك أحرقها كلها ، ثم عاد إلى علمه ، فصار يعتمد على ما حفظ[3].

ولقد كان بعض الرواة عجيبا في كثرة ما يروي ، من هؤلاء حماد الراوية ، إذ سأله الوليد بن يزيد : بم استحققت أن تسمى راوية ؟ فقال : بأن أروي لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ، ثم أروي لأكثر منهم ممن لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشد أحد

---

(١) الميداني **، مجمع الأمثال الميداني** ، ج٢ ، ص ٢٣.

(٢) ا ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحق (ت ٤٣٨ هـ)، **الفهرست** ،مكتبة الأسدي ١٩٧١ طهران ، ص ٦٦ .

(٣)ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (٦٠٨-٦٨١هـ)،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، مطبعة بولاق ١٨٨١ القاهرة ، ١٣٦/٣ .

شعرا قديما ولا محدثا إلا ميزت القديم من المحدث . فقال له : فكم مقدار ما تحفظه من الشعر ؟ قال : كثير ، أستطيع أن أنشدك على كل حرف من حرف المعجم مئة قصيدة كبيـرة ، سـوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام . قال الوليد : سأمتحنك في هـذا . ثـم أمـره بالإنشاد ، فأنشد حتى ضجر الوليد ، فوكل به من يسمعه ، ويسـتوفي عليـه ، فأنشـد ألفـين وتسعمائة قصيدة من الشعر الجاهلي ، وعلم الوليد بذلك فكافأه بمائة ألف درهم[1].

وإن كان الدكتور أحمد الحوفي يذهب في كتابه ((أدب السياسة في العصر الأمـوي)) إلـى أن مثل هذه الأخبار لا تخلو من المبالغة والتزيد إلا أنها ترسم لنا صورة تقـارب الحقيقـة التـي عاشتها الثقافة العربية آنذاك يدل عليها ما وصلنا من تراث ثقافي عن تلك الحقبـة مـن زمـان عاشته أمتنا العربية.

وهكذا فهذه بعض صور عناية الخلفاء الأمويين بالأدب ، وكيـف أنهـم كـانوا نقـادا بارعين، يفهمون الشعر ويتدارسونه وينقدونه ويشجعون عليه فبات الوافد إليهم يحدوه الأمل في نيل صلتهم والحصول على مبتغاه منهم . وكذلك من عاشوا في زمنهم من أمراء وقواد وشعراء ورواة وسراة .

---

(١)الأصفهاني ، **الأغاني** ج١٥، ص١٦٥ .

الوفادات :

وسنستعرض بعض الوفادات الأدبية والمتصلة بالثقافة تلك التي كانت تحدث في بـلاط الأمويين مع التعليق عليها بما يفيد القارئ ويوضح ما يتعلق بالوفادة في هذا العصر.

وفود الشعبي على عبد الملك بن مروان :

كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج [(١)]: إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبت منه، ولم يبق لي إلا مناقلة الإخوان الأحاديث ، وقبلك عامر الشعبي فابعث به إلي يحدثني .

فدعا الحجاج بالشعبي وجهزه ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه . فخرج الشعبي وافدا على عبد الملك بن مروان ، حتى إذا كان بالباب قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبي ، قال : حياك الله ! ثم نهض وأجلسه على كرسيه ، فلـم يلبـث أن خـرج الحاجب إليه فقال : ادخل .

قال الشعبي : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسي ، وبين يديه رجل أبيض الرأس واللحية على كرسي ، فسلمت فرد السلام ، ثم أومأ إلي ، فقعدت عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم على ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصبر أن قلت : ومن هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ! فعجب عبد الملك من عجلتي قبل أن يسألني عن حالي ، ثم قال : هذا الأخطل . فقلت : يا أخطل أشعر منك الذي يقول :

هذَا غُلام حسن وجهـ ـ ـ ـه   مقْتَبِلُ الخَير سريـ ـ ـع التَمـ ـام

للحارثِ الأكْبر والحـ ـ ـارثِ   الأصغَر والحارثِ خَير الأنَـ ـ ـام

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج ١ ، ٢٧٥ .

ثُم لِهنْــــدٍ ولِهنْــد ، فَقَد   أَسرع فِي الخَيراتِ مِنْه إمــام

خَمسةٌ آباءهــم مــا هــم   هم خَير من يشْرب صوب الغَمام

فقال عبد الملك : رددها على ، فرددتها حتى حفظها ، فقال الأخطل ، من هذا يا أميـر المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق ، والله النابغة أشعر مني .

قال الشعبي : ثم أقبل علي عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير لا زلـت به ، ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الـرحمن بـن محمـد الأشعث .

فقال : مه ! فإنا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى تفارقنا ، ثم أقبل علي فقال : ما تقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين قد فضله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ! وذاك أنه خرج يوما وببابه وفد غطفان، فقـال : يـا معشـر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حلَفْتُ فَلَم أَتْرك لِنَفْسِكَ رِيبــةً   ولَيس وراء اللهِ لِلمرءِ مذْهــب

أَلَم تَر أَن اللهَ أَعطَاك ســورةً   تَرى كُل ملْكٍ دونَــها يتَذَبذَب

كأَنك شَمس والملُوك كَواكِب   إِذَا طَلَعتَ لَم يبد مِنْهن كَوكَــب

لَئِن كُنْتَ قَد بلغْتَ عني خِيانَةً   لَمبلغُك الواشِي أَغَــش وأَكْذَب

ولَستُ بِمستَبِقٍ أَخَاً لا تَلُمــه   علَى شَعثٍ ، أَي الرجال المهذب

قالوا : النابغة ، قال : فأيكم الذي يقول :

فَإنك كالليل الذِي هو مدرِكِــي   وإِن خِلْتُ أَن المنْتَأى عنْك واسِع

خَطَاطِيفُ حجنٍ فِي حِبالٍ متِينَةٍ   تَمد بِها أَيدٍ إِلَيك نَــوازع

قالوا : النابغة ، قال : أيكم الذي يقول :

إِلى ابن محرقٍ أعملْتُ نَفْسِي وراحِلَتِي وقد هدتِ العيـ ـ ـ ـ ـ ـون

أَتَيتُك عارياً خَلَقاً ثِيابِـ ـ ـ ـي على خَوفٍ تَظُن بِي الظُنُـ ـ ـ ـ ـ ـون

فَألْفَيتُ الأمانَةَ لم تَخُنْهـ ـا كَذَلِك كان نُوح لا يخُـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـون

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبد الملك علـى الأخطـل فقـال : أتحب أن لك قياضا بشعرك شعر أحد من العرب . أو تحب أنك قلته . فقال: لا والله ، إلا أنـي وددت أني كنت قلت أبياتا قالها رجل منا ، كان والله مغدف القناع ، قليـل السـماع ، قصـير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إِنا محيوك فَاسلَم أَيها الطَلَـ ـلُ وإِن بِليتَ وإِن طَالَتْ بِك الطُولُ

لَيس الجدِيد بِهِ تَبقْى بشَاشَتُـ ـه إِلا قَلِيلا ولا ذُو خِلةٍ يصِـ ـ ـلُ

والعيشُ لا عيشَ إِلا ما تَقَر بِـهِ عين ولا حـَ ـالٍ إِلا سـوفَ تَنْتَقِلُ

والناس من يلْقَ خَيراً قَائِلُون له ما يشْتَهي ولأم المخْطِـ ـي الهبـ ـلُ

قَد يدرك المتَأَني بعض حاجتِهِ وقَد يكُون مع المستَعجِـ ـ ـ ـلَ الزلَلُ

قال الشعبي : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟ قلت : لقد قال :

طرقت جنوب رحالنا من مطرق ما كنت أحسبه قريب المعنق

حتى أتيت على آخرها ، فقال عبد الملك : ثكلت القطامي أمه ، هذا والله الشـعر ، ثـم قال: يا شعبي، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء؟ قلت : خنساء . قال : ولـم فضـلتها على غيرها ؟ قلت ؛ ذاك لقولها :

وقَائِلَةٍ والنعشُ قَد فَاتَ خَطْوها لِتُدركَه يا لَهفَ نَفْسِي على صخْر

أَلا ثَكِلَتْ أُم الذِين غَدوا بِـ ـهِ إِلى القَبر ، ماذَا يحمِلُون إِلى القَبر!

فقال عبد الملك : أشعر منها ليلى الأخيلية حيث تقول :

مهفْهفُ الكَشْحِ والسِربال منْخَرِقٌ　　عنْه القَمِيص لِسير الليل محتَقَر

لا يأمن الناس ممساه ومصبحـه　　فِي كُل حـي وإن لَم يغْز ينْتَظِر

ثم قال لعبد الملك : يا شعبي لعله شق عليك ما سـمعته ، فقلـت : إي والله يـا أميـر المؤمنين أشد المشقة ، إنني قد حدثتك فلم أدرك إلا أبيات النابغة في الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ؛ إنما أعلمناك هذا ، لأنه بلغني أن أهل العراق يتطـاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردد على أبيات ليلى حتى حفظتهـا ، وأذن لـي فانصـرفت ، فكنت أول داخل وآخر خارج .

ونلمح هنا في عدم سكوت الشعبي واستعجاله في مبادرة الحـديث غيـرة علـى الأدب والشعر تجاوزها عبد الملك للشعبي احتراما له وإقرارا بما يريد قوله ولحاجة في نفس يعقـوب فأقصى السياسة والموقف السياسي عن الثقافة في بداية الحديث ولولا أن غلبـة الثقافـة علـى السياسة في هذه الوفادة لوضعتها في الوفادة السياسية لأن المغزى منها كان سياسيا وهو رغبة عبد الملك بأن يري أهل العراق أن أهل الشام غالبين في السياسة والأدب لا كما يـدعي أهـل العراق .

ويدلنا هذا أيضاً على أن البيئات الأدبية تتصارع فيما بينها ولهذا عملت البيئة الأدبية في الشام على النهوض على يد خلفاء بني أمية لتنافس بيئة العراق وتتفوق عليها أدبياً بعد أن فازت عليها سياسياً.

ولو نظرنا في أبيات النابغة التي استشهد بها الشعبي لعلمنا أن هذه الأبيات تناسب مثل هذا المقام ففيها المدح ورفع الذكر وطيب الأحدوثة، وهذا يطابق حال عبد الملك في صفاته الجسدية والنفسية، فذكرها أطرب عبد الملك، مما جعل الشعبي يحفظ مكانته في عين عبد الملك.

وفادة حماد الراوية على عبد الملك بن مروان :

وقال حماد الراوية كان انقطاعي إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية في أيام يزيد ، فلما مات يزيد ، وأفضت الخلافة إلى هشام خفته ، فمكثت في بيتي سنة ، لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سرا .

فلما لم أسمع أحدا يذكرني سنة أمنت فخرجت فصليت الجمعة ، ثم جلست عند باب الفيل. فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا لي : يا حماد ، أجب الأمير يوسف بن عمر. فقلت في نفسي : من هذا كنت أحذر ، ثم قلت للشرطيين . هل لكما أن تدعاني آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبدا ، ثم أصير معكما إليه ؟ فقالا : ما إلى ذلك من سبيل .

فاستسلمت في أيديهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر . فسلمت عليه فرد السلام ، ورمى إلي كتاب فيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله هشام أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر ، أما بعد : فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حماد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متعتع وادفع إليه خمسمائة دينار وجملا مهريا يسير عليه اثنتى عشرة ليلة إلى دمشق)) .

فأخذت الخمسمائة الدينار ونظرت فإذا جمل مرحول ، فوضعت رجلي في الغرز

وسرت اثنتى عشرة ليلة ، حتى وافيت باب هشام ، فاستأذنت فأذن لي ، فدخلت عليه في دار قوراء مفروشة بالرخام ، وهو في مجلس مفروش بالرخام ، وبين كل رخامتين قضيب

ذهب، وحيطانه كذلك ، وهشام جالس على طنفسة حمراء ، وعليه ثياب خز حمر ، وقد تضمخ بالمسك والعنبر ، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهب يقلبه بيده فتفوح روائحه ، فسلمت فرد علي ، واستدناني فدنوت ، وإذا جاريتان لم أر قبلهما مثلهما، في أذني كل واحدة منهما حلقتـان من ذهب ، فيها لؤلؤتان تتوقدان . فقال لي :

قَدعوا بِالصبوحِ يوماً فَجاءَتْ   قَينَةٌ فِي يمِينِها إِبريـ ـقُ

قلت : هذا يقوله عدي بن زيد في قصيدة له . قال : فأنشدنيها ، فأنشدته :

بكَرَ العاذِلُون فِي وضحِ الصبـ ـحِ   يقُولُون لِـ ـي : أَلَا تَستَفِيـ ـقُ

ويلُومون فِيكِ يا بنَـ ـةَ عبد اللهِ   والقَلْب عِنْدكُـ ـم موهـ ـوقُ

لَستُ أَدري إِذْ أَكْثَروا العذْلَ عِنْدي   أَعدو يلُومنِـ ـي أَم صدِيـ ـقُ

فطرب ، ثم قال : أحسنت والله يا حماد ، أعد ، فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عـن فرشه ، فقال : سل حوائجك ، فقلت : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ، قلت : إحـدى الجـاريتين ، فقال لي هما جميعا لك بما عليهما و لهما .

وفادة ابن قيس الرقيات على عبد الملك :

ووفد عليه ابن قيس الرقيات الشاعر المشهور ، وقد أمنه بعد خروجه عليـه ، فمدحـه بقوله :

إِن الأَغَرَ الذِي أَبوه أَبو العا   صِي علَيهِ الوقَار والحجب

يعتَدِلُ التَاج فَوقَ مفْرِقِهِ   علَى جبِينٍ كَأَنه الذَهـ ـب

فقال عبد الملك : يا بن قيس ، تمدحني بالتاج كأني من ملـوك العجـم ، وتقـول فـي مصعب:

إنما مصعب شهاب من اللهِ تَجلتْ عن وجههِ الظَلْماء

ملْكُه ملْك عِزةٍ ليس فيـ ـهِ جبروتٌ مِنْه ولَا كِبريـاء

فأعطيته المدح بكشف الغمم وجلاء الظلم ، وأعطيتني ما لا فخر فيه ، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة . قال قدامة بن جعفر في (نقد الشعر) : ووجه عتب عبد الملك ، إنما هو من أجل أن هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقـل والعفة والعدل والشجاعة إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة .

ثم قال له عبد الملك : أما الأمان فقد سبق لك ، ولكن لا تأخذ فـي المسـلمين عطـاء أبدا(١).

وكذلك عندما وفد عليه ذو الرمة ، ومدحه بقصيدة لكنه أطال في وصف ناقتـه ، ولـم يذكر عبد الملك إلا في بيتين اثنين ، فقال عبد الملك : ما مدحت بهذه القصيدة إلا ناقتك ، فخـذ منها الثواب(٢).

وفادة جرير على عبد الملك :

وقد كان الخلفاء يعرفون – لسعة ثقافتهم واطلاعهم على اللغة والأدب مواطن القوة فـي مدح غيرهم ومواطن الضعف في مدحهم فينتقدون الشعراء على ذلك حتى تعتدل الموازين ومن ذلك وفادة جرير على عبد الملك بن مروان والتي تدلنا أيضا على أن الخلفاء كانوا يحنقون أشد الحنق إذا قصد الشاعر بمديحه غيرهم ، ولذلك كان غضب عبد الملك على جرير شديدا لمدحـه

---

(١)الخفاجي ، **الحياة الأدبية في عصر بني أمية** ، ص ٥٤ .

(٢)الأصفهاني ، **الأغاني ،** ج١٠،ص١٥٠ .

الحجاج . وحين أوفده الحجاج إليه على مدحه له مع ابنه محمد ، قال لـه حـين دخـل عليـه واستأذن في الإنشاد وما عساك أن تقول فينا بعد قولك في الحجاج [١]:

مَن سد مطلَع النفَاق عليكُم   أم من يصولُ كصولةِ الحجاجِ

إن الله لم ينصرني بالحجاج وإنما نصر دينه وخليفته أولست القائل :

أم من يغَار على النساءِ حفِيظَةً   إذْ لا يثِقْن بِغَيـ ـ ـ ـرةِ الأزواجِ

وقوله :

دعا الحجاج مِثْلَ دعاءِ نُوحٍ   فَأسمع ذَا المعارجِ فَاستَجابا

والله لهممت أن أطير بك طيرة بطيئا سقوطها ، ولولا توسل محمد بـن الحجـاج فـي رضاه عنه وتحايله هو في الإذن له بالإنشاد حتى أنشده قصيدته التي يقول فيها :

أتَصحو أم فُؤَادك غَير صاحٍ   عشِيةَ هم صحبك بِالرواحِ

قال له عبد الملك : بل فؤادك . فلما انتهى إلى قوله :

سأَشْكُر إن رددتَ علَـ ـي ريشِـ ـي   وأَثْبت القَوادِم فِي جنَاحِـ ـ ـ ـي

أَلستُم خَير من ركِب المطَـ ـ ـ ـ ـايا   وأَنْدى العالَمِين بطُـ ـون راحِ [٢].

ارتاح عبد الملك ، وكان متكئاً فاستوى جالساً ، وقال : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثـل هـذا أو ليسكت ! ثم قال له : يا جرير ، أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم كلب ؟ قـال : إذا لـم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله . فأمر له بمائة ناقة من نعم كلب . كلها سود الحدقـة . فقال يا أمير المؤمنين ، إنها أباق ونحن مشايخ وليس بأحدنا فضل عن راحلتـه ، فلـو أمـرت بالرعاء . فأمر له بثمانية من الرعاء ، وكانت بين يدي عبد الملك صحاف من فضـة يقرعهـا

---

(١) ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص٢٧٨ .

[٢] الخطفي ،جرير بن عطية(٢٨-١١٠هـ) ، **ديوان جرير** ، دار صادر بيروت ١٩٦٦ ، صـ ٧٧ .

بقضيب في يده ، فقال له جرير : والمِحلَب يا أمير المؤمنين ، وأشار إلى صفحة منها ؛ فنبذها إليه بالقضيب ، قال : خذها لا نفعتك ! ففي ذلك يقول جرير :

أَعطَوا هنَيدةَ يحدوها ثَمانِيةٌ　　ما فِي عطَائِهِم من ولا سرفُ

وإننا لنرى في هذه الوفادة - إضافة لما تدل عليه من ثقافة الخليفة الأموي في الشعر ومواطنه- لنرى تلاطف الخلفاء في العطاء وذلك بقول عبد الملك : أترى أم حزرة ترويها مائة ناقة من نعم كلاب ؟ وكذلك تلاطف الشعراء الوافدين بالرد ، في قمثل قول جرير :

إذا لم تُروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله . وقوله : فلو أمرت بالرعاء. وكذلك قوله : والمِحلَب يا أمير المؤمنين .

وفادة الشعراء على عمر بن عبد العزيز:

لما استُخلف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه[1] ، وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد إلى الخلفاء قبله ؛ فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول ، حتى قدم عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود على عمر بن عبد العزيز ، وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، وكانت له منه مكانة ، فقال جرير :

يا أيها الرجلُ المرخِي عِمامتَه　　هذَا زمانُكِ إني قَد مضى زمنِي
أَبلِغْ خَلِيفَتَنَا إن كُنْتَ لاقِيه　　أَني لَدى البابِ كالمصفُودِ فِي قَرن
وحش المكَانَةِ مِن أَهلِي ومِن ولَدِي　　نَائِي المحلةِ عن داري وعن وطَنِي

قال : نعم أبا حزرة ونُعمى عين . فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ، إن الشعراء ببابك ؛ وأقوالهم باقية ؛ وسنانهم مسنونة . قال : يا عون ، مالي وللشعراء ؟ قال : يا أمير

---

[1] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج١، ص ٢٨٤ .

المؤمنين ، إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح وأعطى ، وفيه أسوة لكل مسلم. قـال : ومـن مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلة قطع بها لسانه . قال : وتروي قوله ؟ قلت : نعم :

رَأيتُك يا خَير البريةِ كُلهـا   نَشَرتَ كِتَاباً جاء بِالحق معلِما
ونَورتَ بِالبرهان أَمراً مدمساً   وأَطْفَأتَ بِالبرهان نَاراً مضرمـا
فَمن مبلغٌ عنـي النبي محمدا   كُل امرئٍ يجزى بِما قـد تَكَلما
تَعالَى علُواً فَوقَ عرشِ إِلَهنَا   وكَان مكـان اللهِ أَعلَى وأَعظَما

قال : صدقت ؛ فمن بالباب منهم ؟ قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعـة . قـال : لا قـرب الله قرابته ، ولا حيا وجهه ! أليس هو القائل ؟

أَلا لَيتَ أَني يوم حانَت منِيتِـــي   شَممتُ الذي ما بين عينَيكِ والفَمِ
ولَيتَ طَهوري كَان رِيقَكِ كُلـــه   ولَيتَ حنُوطِي مِن مشَاشَكِ والدمِ
ويا ليتَ سلمى فِي القُبورِ ضجِيعتِي   هنَالِك أَو فِي جنةٍ أَو جهنـــمِ

فليته والله تمنى لقاءها في الدنيا ، ويعمل عملا صالحا . والله لا دخل علي أبداً . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : جميل بن معمر العذري . قال : هو الذي يقول :

أَلا لَيتَنَا نَحيا جمِيعاً وإِن نَمتْ   يوافِي لَدى الموتَى ضريحِي ضريحها
فَما أَنَا بِطُول الحياةِ بِراغِـبٍ   إِذَا قِيلَ قَد سوي علَيها صفِيحـــها
أَظَل نَهاري لا أَراها ويلتَقِـي   مع الليل روحِي فِي المنَامِ وروحهـا

اعزب به ؛ فوالله لا دخل علي أبدا . فمن غير من ذكرت ؟ قلت : كُثير عزةَ . قال : هو الذي يقول :

رهبان مدين والذين عهدتُهـم   يبكُون من حذَرِ العذَابِ قُعودا
لَو يسمعون كمـا سمِعتُ حدِيثَها   خَروا لِعزةَ راكِعِين سجـودا

اعزب به ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأحوص الأنصاري . قال : أبعده الله ومحقه ، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل من أهل المدينة جاريةً هرب بها منه :

الله بيني وبين سيدها   يفر عني بها وأتبع

اعزب به ؛ فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : همام بن غالب الفرزدق . قال : أليس هو القائل يفخر بالزنا :

هما دلتاني من ثمانين قامةً   كما انقض بازٍ أقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا   أحي يرجى أم قتيلٌ نحاذره

وأصبحتُ في القوم الجلوس وأصبحتْ   مغلقةً دوني عليها دساكره

فقلتُ ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا   ووليتُ في أعقاب ليلٍ أبادره

اعزب به ؛ فوالله لا دخل علي أبدا . فمن بالباب غير من ذكرت ؟ قلت : الأخطل التغلبي

وفادة رسول المهلب على الحجاج :

لما هزم المهلب بن أبي صفرة قطري بن الفجاءة صاحب الأزارقة ، بعث إلى مالك بن بشير فقال له [1]: إني موفدك إلى الحجاج فسر ، فإنما هو رجل مثلك . وبعث إليه بجائزة ، فردها وقال : إنما الجائزة بعد الاستحقاق . وتوجه . فلما دخل على الحجاج ، قال له : ما اسمك؟ قال : مالك بن بشير . قال : ملك وبشارة . كيف تركت المهلب ؟ قال : أدرك ما أمل وأمن من خاف . قال : كيف هو بجنده ؟ قال : والد رؤوف . قال : فكيف جنده له؟ قال: أولاد بررة . قال : كيف رضاهم عنه ؟ قال : وسعهم بالفضل وأقنعهم بالعدل. قال: فكيف تصنعون إذا لقيتم عدوكم ؟ قال : نلقاهم بجدنا فنطمع فيهم ، ويلقونا بجدهم فيطمعون فينا. قال : كذلك

---

[1] ابن عبد ربه ، **العقد الفريد** ، ج ١ ، ص ٢٧٧ .

الحد إذا لقي الحد . قال : فما حال قطري ؟ قال : كادنا ببعض ما كدناه . قال فما مـنعكم مـن اتباعه؟ قال رأينا المقام من ورائه خيرا من اتباعه. قال : فأخبرني عن ولد المهلـب . قـال : أعباء القتال بالليل، حماة السرح بالنهار. قال : أيهم أفضل ؟ قال : ذلك إلى أبيهم . قال : لتقولن . قال : هم كحلقةٍ مضروبة لا يعرف طرفاها . قال : أقسمت عليك هل روأتَ في هذا الكلام ؟ قال : ما أطلع الله على غيبه أحداً . فقال الحجاج لجلسائه : هذا والله الكلام المطبوع لا الكـلام المصنوع .

إن الناظر في هذه الفادة ليرى أن محتواها يشتمل على معانٍ سياسية إلا أن مغزاها وأحد غاياتها الناحية الثقافية . وذلك لاختتام الحجاج بنقد هذه الوفادة وما ورد فيها مـن حـوار مـع الوافد ، بإظهار إعجابه للحديث الذي دار بقوله : هذا والله الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع . فالحجاج نقد كلام الوافد من الناحية الأدبية بعد أن قام بتمحيصه من الناحية السياسية . فبعـد أن سأل الوافد عن اسمه ، تباشر الحجاج خيرا ، ثم سأله عن خصمه وعن حاله مع جنده ، وكيـف يفعلون إذا لقوا العدو ، وعن أولاده وتماسكهم . أقر له الحجاج بأن هذا الكلام المطبوع لا الكلام المصنوع وهذا دليل على رقي ذائقة القواد وأنهم كانوا ينقدون الكلام ليميزوا حسنه من قبيحه .

الفصل الخامس

الدراسة الفنية

أولا : اللغة

يرى ابن خلدون أن الأسلوب هو [1]: "المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الـذي يفرغ فيه" . فهو يراه في صورة أدبية ممتازة يحتذيها الأدباء والشـعراء فينظمـون شـعرهم و يبنون مقالاتهم على أساس يتماشى معها . ويعرفه المحدثون بأنه طريق اختيار الألفاظ وتأليفهـا للتعبير بها عن المعاني بقصد الإقناع والتأثير ، وهو الطريقة التـي يسـلكها الكاتـب للتفكيـر والتصوير والتعبير ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر في نفس القارئ أو السامع مقررين بأنه يتجه لتحقيق غرضين . أولهما : نقل الحقائق أو المعاني إلى ذهن السامع أو القارئ ، ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير .

ومن هنا نفهم أن الأسلوب هو نهج الكاتب أو الشاعر في صياغة أدبـه وشـعره وأداء أفكاره ومعانيه ، والطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه ، وما يـؤثر فـي لغـة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو خفـاء وطبـع أو صنعة والأسلوب هو وسيلة نقل الشاعر لأفكاره ومعانيه .

ولو تناولنا قصيدة الراعي النميري التي يعاتب فيها عبد الملك بن مروان ويشـكو ظلـم العمال والسعادة ومنها.

([1])ابن خلدون ،عبد الرحمن ، **مقدمة ابن خلدون** ، بيروت لبنان، دار العلم للجميع ، ص ٥٧٨ .

أُولِـي أَمـر اللهِ إِنـا معشَـر حنَفَـاء نَسـجد بكْـرةً وأَصِـيلا

عـرب نَـرى للهِ فِـي أَموالِنَـا حـقُ الزكَـاةِ منَـزلاً تَنْـزيلاً

قَـوم علَـى الإِسـلامِ كمـا يمنَعـوا مـاعونَهم ويضـيعوا التَهلِـيلا

نجد أن هذه الأبيات وعلى غرارها سائر القصيدة تتضمن الفاظاً إسلامية كالسجود والتهليل والزكاة التي هي الماعون في الاصطلاح الإسلامي بعد أن كانت في الجاهلية تعني كل ما ينفع به.

ولا عجب في ذلك فهو وافد يريد أن يجعل لغته تتناسب والمقام الذي يكون فيه سيما وأنه يشكو العمال والسعاة الذين يجمعون الزكاة فلا بد أن يظهر تمسكه بالمعاني الإسلامية ليتمكن من إخبار الخليفة أنه لا يمنع الزكاة ، وإنما يشكو الطريقة التي تجمع بها.

ونجد هذا الأمر عند سائر الشعراء في هذا العصر كجرير والفرزدق وغيرهم من مدائحهم وقصائدهم.

إن أغلب الشعر في العصر الأموي يتأرجح بين السهولة والوضوح وبين القوة والرصانة التي طغت على أكثر شعر سواء هذا العصر على أن شعر الوفادة في هذا العصر امتاز بقوته لجلال الموقف المهيب الذي يقفه الوافد.

وطبيعة الموقف في الوفادة هو الذي يفرض جدية المعنى الأدبي سعياً إلى كمال الصورة وبلوغ الفكرة التي يبعث الوافد عن طريقة إيصال مقنعة لها بين يدي الخليفة.

ولا بد من أخذ حالة الشاعر الوافد النفسية والاقتصادية بعين الاعتبار وهو يقف بين يدي الخليفة عند قوله الشعر لأن الشعر يتأثر بهذه الظروف وهذا يفسر سبب عدم إجازة بعض الخلفاء عدداً من الشعراء الذين لم تنجح وفادتهم في مسعاها ولم يتمكنوا من نيل رضا الخليفة.

وقد تأثر الشعر في العصر الأموي بعوامل متعددة ، كان لكل منها أثره الخاص في الألفاظ والأساليب ومن ذلك :

١- كان العهد الأموي قريب عهد إلى الجاهلية بصفاء لغتها وإلى الإسلام بتهذيبه وتنقيته للغة، فأصبح الأموي يستظهر آيات القرآن ويتملى بلاغته ، ويعجب بأساليبه . كما استمع إلى أحاديث النبي محمد صلى الله عليه وسلم فأبهره قوة الأسلوب واتقاد الكلمات في قوالبها المختلفة بيانا وفصاحة .

٢- اهتم الأمويون برواية الشعر الجاهلي واستظهاره وإحيائه ، وما اشتمل عليه هذا الأدب من جزالة ألفاظ وقوة أساليب وسحر كلمة ، فتأثروا فيه وانطبعت أذواقهم على سماعه والتأثر به أيما تأثر .

٣- كما إن الأمويين قد انفتحت لهم أبواب الدنيا والنعيم والترف ، وانصبت الحضارة عليهم، وشاهدوا المظاهر الحضارية التي انعكست على أساليبهم وعلى أدبهم شعرا ونثرا .

٤- ولتخطيط المدن المطلة على البادية كالبصرة والكوفة واختلاط كثير من شعراء العصر الأموي بأهل البادية دور في التأثر بالروح البدوية .

ولهذه العوامل التي تقدم ذكرها تعددت النزعات وتلونت المذاهب فهناك شعر يدهشنا بقوة جرسه ورقة لفظه وعذوبة أساليبه ، فتجد أن أنغامه تتدفق كالينابيع الصافية ذلكم هو الشعر الذي تأثر بروح الإسلام ، أو عاش في الحواضر المترفة ومن هؤلاء الشعراء الذين تقدم ذكرهم في دراستنا للوفادة وأدبها جرير والأخطل والفرزدق .

ونجد شعرا أمويا تغذى بروح البادية الصافية مع ما فيها من خشونة العيش الذي انعكس على الأدب جزالة وفخامة وقوة ألفاظ وأساليب .

ولا عجب في الحاجة إلى استخدام الألفاظ القوية الجزلة القريبة من لغة العصر وروحه في كل الوفادات التي مرت معنا ، فهي تلقى بين يدي الخليفة أو الوالي ولهذا كان لا بد مـن أن تكون قوية تناسب المقام الذي تلقى فيه .

ثانيا : الصورة .

تعددت مظاهر الحضارة في العصر الأموي كما تقدم معنا ، واتسعت ثقافة أهـل هـذا العصر ومن بينهم الشعراء والأدباء فاختلطوا بالأمم الأخرى ، وكانت هذه الأمم ذات معـارف متعددة وناضجة نضجا أدبيا تأثر به الأدب العربي آنذاك ، فتأثر بمعانيه وأخيلته.

فنجد أن المعاني الشعرية يغلب عليها الدقة والعمق وترتيب الأفكار ، وارتقـى الخيـال الأدبي إلى حد بعيد لم يكن موجودا فيما سبقه من العصور .

وقد تمكن شعراء الوفادة في هذا العصر من تخيل العواطف وتصويرها تصويرا يوضح لنا نواحيها الغامضة بأسلوب بهي جميل ، فالشاعر يأخذ الأشياء المألوفة التي تبدو للناس بأنهـا أمر طبيعي ، فتراه يعمل خياله فيها فتخرج بصورة جديدة وحلة بهية لم نكن نتوقعهـا .فلـيس صحيحا أن الخيال خروج من الواقع وبعدا عن الحقائق ، بل هو انعكاس ومرآة للواقع الذي نراه لكن بعين الشاعر الأديب الفنان وقدرته على التحليق في فضاء الخيال ليخرج لنا بقطعته الأدبية التي كثيرا ما كان الخلفاء والولاة يطربون لسماعها من الشعراء الوافدين فتجدهم يتمايلون طربا لها ويمنحون مقابلها الجوائز والهبات السنية .

فصورة الممدوح كما يصورها الوافد تتجلى في قصيدة الأخطل التي يبرز فيها صـفات بني أمية في قصيدته المشهورة.

شَـــمس العـــداوةِ حتـــى يســـتَقَاد لَهـــم   وَأعظَـــم النـــاس أَحلامـــاً إِذَا قَـــدروا

هـــم الـــذِين يبـــارون الريـــاح إِذَا   قَـــل الطَعـــام علَـــى العـــافِين أَو قَتُـــروا

بنـــي أُميـــةَ نعمـــاكُم مجللـــةٌ   تَمـــتْ فَـــلا منـــةٌ فِيهـــا ولا كَـــدر

والشاعر يحسن اختيار التفاصيل ويلتقطها من بين ركام المشاهدات التي يراها ، فيتفاعل معها ذهنه منتقيا تفاصيلها وممحصا دقائقها ، فيضم تلك التفاصيل إلى بعضها ويرتبها ، شاعرا بما حوله من ملاحظات الحياة المحيطة واصلا الشعور بالعطفة والتفكير، فيغوص فـي أغـوار المعاني لينتج لنا تلك الصور التي لم يكن خيال المشاهد العادي ليدركها إلا بعد أن تنصب فـي قوالب الشعر . فيصوغها فنا شعريا يعبر عنها ويبرز ما خفي منها ، فليس الشعر صورة ولفظا، وإنما هو مشاعر وعواطف تكتنز في نفس الشاعر يجعلها تحلق في سماء الخيال الأدبـي بمـا أوتي من ملكة الشعر وسحر الإبداع.

ولن ينال الشاعر حظه من الجودة والإبداع إلا إذا أحس بما يشاهده ويريد قوله وأعمـل خياله فيما يريد ، فيصل بها إلى الخيال المبدع بعد أن يجمع شتاتها من ذاكرته .

ومن هنا نرى أن الروابط بين الخيال والعاطفة قوية جدا ، فقوة الخيال مرتبطـة بقـوة العاطفة ، فإذا كانت صادقة قوية أنتجت لنا خيالا مميزا ومحلقا .

ولو نظرنا إلى شعر النقائض مثلا لوجدنا أن ما ذهبنا إليه من العناية بالصورة لا يجافي الحقيقة أبدا ؛ فنجد أن الشاعر يتفنن في عرض الأحداث الصغيرة ويستفيد منها في إطار نقيضته ويرد عليه الآخر ناقضا معانيه .

رأينا من خلال هذا البحث أن الشعراء الوافدين التزموا في بناء القصيدة صورة نموذجية وذلك باستهلال قصائدهم بوصف الرحلة وتخلصهم من الوقـوف علـى الأطـلال ، فيصـفون

الطريق وما لقوه في سبيل لقاء الممدوح من متاعب وما كابدوه من مشقة السفر، ثم يدلفون مـن خلال المدح لهز أريحية الممدوح حتى يبسط كفه لهم بالنوال .

وقد عني الشاعر الوافد بالصورة الحركية لما تفرضه عليه الوفادة من حركة ، فتجـده أبدع وأجاد في وصف الناقة التي أعملها بالسير ليل نهار ، حتى توصله إلى من يريـد الوفـادة إليه ، ثم تراه يصور حركة المال الذي يجود به الممدوح فتتناغم هذه الحركة مع أبياتـه التـي يتنوع فيها تصوير الممدوح بأنه الغيث أو السحاب أو البحر من الكرم والعطاء .

ولذا فإن عناية الشعراء بأهمية الصورة أمام سلطة المخاطب جعلتهم يتفننون في انتقـاء عناصر هذه الصورة ويبدعون باختيارها.

ثالثا : الإيقاع

إن موسيقى الشعر لا تقتصر على الوزن والقافية، بل تتجاوزها لتشمل تآلف الحروف ، وما تفرضه طبقة الصوت من خصائص وتنوع ذلك الصوت الذي استوحاه الشاعر الوافد مـن بيئته التي قدم منها ولذا فإن الإيقاع هو الذي يضفي على بنية القصيدة رونقها وجمالها وقد ذكرنا أن العربي قد أحس بالإيقاع نتيجة بيئته وطريقة حياته من خلال الحداء الذي كان يرفع به صوته في أعماق الصحراء ، ليسري عن نفسه وليحث راحلته على المسير ، وما أجمـل إيقـاع تلـك القصائد التي أطلقها الشعراء الوافدون وهم يحثون مطاياهم ليل نهار على السعي للوصول إلـى الخليفة أو الوالي، باحثين عن الأمان من موقف سياسي سابق قد اقترفوه أو طامعين في مكسـب مادي ليأخذوه .

ولتأثر الشعراء الأمويين ببناء القصيدة الجاهلية وإعجابهم بها بحيث أنهم اقتفوا أثرها في اللغة والصورة والموسيقى، والدارس للشعر في العصر الأموي يلحظ أن التنوع الموسيقي مـن

خلال كثرة البحور المستعملة لدى الشعراء وهي ميزة يتحلى بها الشاعر الأمـوي فـي إيجـاد النغمة التي يحققها جرس الألفاظ التي يصب فيها الشاعر أفكاره ومعانيه التي يوجهها لمن يفـد عليهم.

وقد تمازجت لغة الشعراء الوافدين وصورهم مع البنية الإيقاعية للقصيدة ، فموضـوع الوفادة يتطلب من الشاعر أن يلقي مدحته أمام الخليفة وبحضور الأمراء و كبار رجـال الدولـة وأعيانها من جلساء الملك ، فلا بد للشاعر أن ينتقي الجرس الموسيقي الذي يلائم هذا المقام كما يختار لغته القوية وصورة ممدوحه البديعة والجديدة كل الجدة .

ولم يغفل ما تفرضه طبيعة الموقف من وقوف أمام الخليفة أو الوالي بكل جدية وحـذر من نقد رغبة في كسب الرضا واستمالة لمزاج الممدوح إن جاز التعبير ليشعر بـالطرب عنـد سماع إيقاع القصيدة فيشعر بالطرب ويتمايل من شدة الزهو، فيجود على الوافد بما يعادل طربه المعنوي من عطاء مادي .

الباحث

المصادر والمراجع باللغة العربية

- الأبشيهي ، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٢ هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف،** المطبعة البهية ١٩٨٢ القاهرة .
- ابن أبي الحديد ، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله(٥٨٦- ٦٥٦هـ) **شرح نهج البلاغة** دار الأندلسي ١٩٨٣ بيروت ط ٣ .
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري،(٥٥٥ – ٦٣٠هـ)،**الكامل في التاريخ** دار صادر ١٩٦٦ بيروت .
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد ٢٤٧-٢٩٦ هـ ،**طبقات ابن المعتز،** دار صادر ١٩٦١ بيروت.
- ابن النديم ، أبو الفرج محمد بن إسحق (ت ٤٣٨ هـ)، **الفهرست ،**مكتبة الأسدي ١٩٧١ طهران .
- ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر الأزراري ، (٧٦٧ – ٨٣٢ هـ)، **خزانة الأدب وغاية الأرب** تحقيق كوكب دياب ، دار صادر بيروت ٢٠٠١ .
- ابن خلدون ،عبد الرحمن ، **مقدمة بن خلدون** ، بيروت لبنان: دار العلم للجميع.
- ابن خلكان ، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (٦٠٨-٦٨١هـ)،**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،** مطبعة بولاق ١٨٨١ القاهرة .
- ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد (ت ٣٢٨ هـ) ، **العقد الفريد** ، تحقيق محمد العريان، دار الفكر .

- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسـلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ ـ) ، **عيـون الأخبار ، طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥ القاهرة ، ج ١ .**
- ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بـن مسـلم (٢١٣ – ٢٧٦ هـ ـ)،**الشـعر والشعراء،** تحقيق عمر الطباع دار الأرقم بن أبي الأرقم ١٩٩٧ بيروت .
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل بن مكرم(٦٣٠- ٧١١ هـ) ، **لسـان العـرب المحيط** ، دار لسان العرب ١٩٧٠.
- ابن منقذ ، أبو المظفر أسامة بن مرشد الشيرازي (٤٨٨-٥٨٤هـ ـ) ، **لبـاب الآداب** تحقيق أحمد محمد شاكر ، مكتبة لويس سركيس ، القاهرة ، ١٩٣٥ .
- أبو الفضل،أحمد بن محمد (ت ٥١٨ هـ)، **مجمع الأمثال الميداني ،** تحقيـق قصـي الحسين دار مكتبة الهلال ٢٠٠٣ بيروت .
- أبو تمام ،حبيب بن أوس الطائي (١٨٨- ٢٣١ هـ) **نقائض جرير والأخطل**،تحقيـق أنطوان صالح اليسوعي ، بيروت : دار الكتب العلمية ١٩٢٢.
- ابو شوارب، محمد مصطفى (٢٠٠٧) أدب العصر الأموي (ط١) الإسـكندرية : دار الوفاء .
- أبو مالك ،غياث بن غوث (١٩-٩٠هـ) **ديوان الأخطل ،** شرح مجيد طراد ، بيروت : دار الجيل ١٩٩٥.
- الأزهري ، ابن منظور محمد بن أحمد الهروي ، **معجم تهذيب اللغة تحقيق** ، رياض زكي دار المعرفة ٢٠٠١ بيروت .

- الأصفهاني ، أبو الفرج علي بـن الحسـين (٢٨٤ – ٣٥٦ هـ ـ) ، **الأغـاني** ، ط الساساني دار إحياء التراث العربي ١٩٩٤ بيروت .
- بابتي ،عزيزة فوال(١٩٨٧) **السياسة والأدب في العصر الأمـوي** ، لبنـان : دار الشمال.
- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز(٤٣٢ – ٤٨٧ هـ)،**سمط اللآلئ ،** تحقيق عبد العزيز اليمني ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٦ القاهرة .
- البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، **كتاب جمل من أنساب الأشراف ،** تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي دار الفكر ١٩٩٦ بيروت .
- الجاحظ ،أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ) **البيان والتبيين،** تحقيق درويـش جويدي، بيروت لبنان: المكتبة العصرية ٢٠٠٣.
- الجمحي ، أبو عبد الله محمد بن سلام (١٥٠ – ٢٣٢ هـ)**طبقات فحـول الشـعراء** شرح محمود شاكر مطبعة المدني القاهرة .
- حسان بن ثابت، (ت ٥٤هـ) **ديوان حسان الأنصاري،** دار صادر ١٩٦١ بيروت.
- حسن ، إبراهيم حسن (٢٠٠٣) **تاريخ الإسلام ،** القاهرة : دار الكتاب الذهبي.
- الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي (٥٧٤- ٦٢٦ هـ ـ)،**معجـم الأدبـاء ،** دار المأمون القاهرة ١٩٨٣ .
- الحوفي ، أحمد (١٩٦٥) **أدب السياسة** ، بيروت : دار التعليم.

- الخزاعي أبو جعفر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (ت ١٠٥هـ) **ديوان كثيرعزة ،** دار صادر بيروت .
- الخطفي ،جرير بن عطية(٢٨-١١٠هـ) **ديوان جرير ،** دار صادر بيروت ١٩٦٦ .
- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت(٣٩٢- ٤٦٣) ، **تاريخ بغداد** ، هـ تصحيح فرح قيصر دار الكتاب العربي بيروت .
- الخطيب التبريزي ، أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني ، (٤٢١-٥٠٢) **شرح ديـوان الحماسة** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
- الخفاجي ، محمد (١٩٦٦) **الحياة الأدبية ،** القاهرة : مكتبة القاهرة .
- خفاجي ، محمد (١٩٩٣) أعلام الأدب في عصر بني أميـة (ط١) بيـروت: دار الجيل .
- الراعي ، عبيد بن حصين النميري (ت ٩٧ هـ) ، الديوان ، (ط١) بيروت ١٩٩٥ .
- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمـر(٤٧٦- ٥٣٨ هـ ـ)، **أسـاس البلاغة ،** المطبعة الذهبية ١٨٨٢ القاهرة .
- الزيات ،أحمد (١٩٣٥) **تاريخ الأدب العربي** (ط ٦) لجنة التأليف القاهرة .
- السباعي ، السباعي ، **تاريخ الأدب العربي في صدر الإسـلام والعصـر الأمـوي** ، القاهرة : مطبعة العلوم .

- السيد محمد ،ديب (١٩٩١) **من روائع الأدب العربي** (ط١) القاهرة : دار الطباعـة المحمدية .
- الشايب ، أحمد (١٩٦٢) **تاريخ الشعر السياسي** مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
- الشريف المرتضى ، أبو القاسم على بن الحسين بن موسى (٣٥٥-٤٣٦هـ) ، **أمالي السيد المرتضى** ، تحقيق محمد نور الدين وأحمد بن الأمين ، مطبعة السعادة ، ١٩٠٧ .
- الشكعة ،مصطفى(١٩٦٨) **الأدب في موكب الحضارة الإسلامية** ، القاهرة : مكتبـة الأنجلو المصرية.
- صفوت ،أحمد زكي (١٩٣٣)، جمهرة خطب العرب، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة.
- ضيف ،شوقي (١٩٥٩) **التطور والتجديد في الشعر الأموي**(ط ٢)، القـاهرة : دار المعارف.
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير **تاريخ الأمم والملوك،** دار الكتب العلمية ٢٠٠١ بيروت .
- الطرماح (١٢٥هـ) ، **ديوان الطرماح** ، تحقيق عزه حسن ، دمشق ، ١٩٦٨ .
- عبد الهادي، صلاح الدين (١٩٨٦) اتجاهات الشعر في العصـر الأمـوي(ط١)، القاهرة : مكتبة الخانجي
- عطوان ، حسين(٢٠٠٥) **نصوص من الأدب الأموي** (ط ١) الأردن : دار المسـيرة عمان .

- علمان ، عادل ، **العرب والإمبراطورية العربية،** الطبعة الثالثة، دار العلـم للملايـين، بيروت.
- الفرزدق ،أبو فراس همام بن غالب التميمي(ت ١١٠ هـ) **ديـوان الفـرزدق ،** دار صادر بيروت ١٩٦٦ .
- الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو الطاهر محمد بن يعقوب (٧٢٩- ٨٢٣هـ)، **القاموس المحيط ،** الموسوعة العربية ١٩٥٢ .
- القالي أبوعلي **، الأمالي** ، ج١، طبعة دار الكتب المصرية.
- القرآن الكريم.
- القرشي ، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب ، **جمهرة أشعار العـرب** ، تحقيـق علـي البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦٧ .
- القط ،عبد القادر(١٩٧٦) **في الشعر الإسلامي والأموي،** بيـروت : دار النهضـة العربية .
- القيسي، نوري، بهجت ، محمود(١٩٩٤)**نصوص الشعر العربي في صدر الإسـلام والعصر الأموي ،** بغداد :جامعة بغداد.
- كثير عزة ، ابو صخر كثير بن عبد الرحمن الخزاعي(ت١٠٥هـ) ، **ديوان كثيـر،** دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٤ .
- الكندي ، أبو يوسف يعقوب بن اسحق ت (٢٦٠ هـ ـ)،**الـولاه وكتـاب القضـاه ،** تصحيح رفن كست مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٠٨ بيروت .

- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (٣٦٤-٤٥٠هـ) **الأحكام السلطانية** تصحيح محمد بدر الدين الحلبي مطبعة السعادة ١٩٠٩ القاهرة .
- المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي ، (٢١٠ – ٢٨٦ هـ) ، **الكامل** ، شـرح إبراهيم الأزهري ، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ، ١٩٢٨ .
- مخيمر ، صالح يحيى(١٩٨٨) **شعر الاحتجاج الاقتصادي في العصر الأموي** ، عمان : دار الفيحاء .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ) **مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر ،** دار الأندلس ١٩٦٥ بيروت .
- نصر، حسين(١٩٨١) **شعراء الدولتين الأموية والعباسـية**، (ط ٢) بيـروت : دار الجيل .

"THE ARABIC ENVOYMENTS IN THE OMAYYAD PERIOD"

By

Adil Ali Al-Zabin

Dr. Hamdy Mansoor Prof.

Abstract

I have investigated a subject that no body wrote on it, not fully studied and never tackled by the university thesis. It is entitled "The Arabic envoyments in the Omayyad period" as I didn't find a study that specially tackled the ennvoyment literature in that time which evoked many political arguments. That was a result of the nature of that period in our Arabic history, which was accompanied with political, social, cultural changes that led to the development of the Arab people in all life aspects and greatly expanded the Arab state at that time.

I tried in this study to spot the light on some important envoyments to give the literature research the opportunity to find the purposes of the envoyment and to recognize what change had occurred regarding envoyment in that period and how policy affected the way in dealing with the envoys and what was the role of the Omayyad caliphate in creating the tribal conflicts by exploiting the envoys who attended the rulers palaces to achieve the caliphate political goals in separating people, so that, they will be able to control government affairs and administrate the caliphate affairs.

I had attempted to recognize the literature discourse secrets of the envoys attitudes and the role of the envoys in generating leadership in the Arab world and how the envoyment concept had been changed by the change of the Arabs' status within a state. For example, people were prevented to visit their rulers in great palaces by the palace guards. Envoyment no longer became as it was before.

I used in this research the comparative and the analytical method after illustrated a set of envoys as models from the previous envoys studies as research should be done in adopting the others opinions.

So I did not make quick judgments and I did not mention the subject through the mind and the vision of others but through what the research's nature demanded and looking at the matters from different and possible sides till the truth is existed and documenting everything I'm illustrating.

I ask god to help me in what I'm seeking, admitting that if you reach the rightness, it is from the god, and if you reach the wrongness, it is from us.

God is behind every intention.